مشكلة فساد ذات البين أسبابها وأضرارها وعلاجها في الشريعة الإسلامية

د. عبده مُحَمَّد يوسف

أستاذ الفقه المشارك ورئيس قسم القرآن وعلومه– جامعة صنعاء

مجلة القلم
(علميّة – فصليّة – محكّمة)
الرقم الدولي
(ISSN 2410-5228)
تصدر عن جامعة القلم
للعلوم الإنسانية والتطبيقية
مدينة إب
الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

The Problem of Ill-relation: reasons, lesions and treatment in Islam

Dr. Abdu Mohammed Yusuf
Assoc. Prof. and Head, Department of Qur'an Sciences,
Faculty of Education, Sana'a University

Abstract

This paper presents the problem of ill-relation which leads to enmity between two people or tribes. Islam has forbidden these problems due to their disastrous consequences. The paper explores these problems and their reasons which include Satan deeds, ignorance, faith weakness, and so on. It also investigates the lesions and the disastrous consequences of these problems and their impacts on the individual and society.

Accordingly, the research presents two Islamic methods of treatment:

1. Protection

This method is meant for taking care of ill-relation before it happens. It is based on the Islamic prohibition of ill-relation, and all the reasons and factors that may cause it.

2. Reconciliation

This method is meant for bringing people together, and calling for it,

as an Islamic principle which includes:

- Reconciliation is one of the unity of the Islamic society. It is a principle of love and harmony.
- Reconciliation is one of the good deeds we human are asked to do, and we are therefore rewarded for doing it.
- Reconciliation has special rules, made possible only for the sake of Reconciliation. These include fighting the sect that refuses Reconciliation, lying for the sake of Reconciliation, postponing prayer, paying the Zaka to, and even begging for the benefit of the reconciled.

مشكلة فساد ذات البين أسبابها وأضرارها وعلاجها في الشريعة الإسلامية

د. عبده مُحَمَّد يوسف

أستاذ الفقه المشارك ورئيس قسم القرآن وعلومه– جامعة صنعاء

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مشكلة فساد ذات البين، حيث حرم الإسلام إفساد ذات البين، وذلك للآثار المترتبة عليها ، كما تناول أسباب وعوامل المشكلة، واضرارها على الفرد والمجتمع، ووضع العلاج المناسب لها من خلال المسلك الوقائي والإصلاحي وفق منظومة من التشريعات التي تكفل ذلك.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مُحَمَّد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن لمتأمل في أحوال الأمة الإسلامية اليوم لا يخفى عليه ما تمر به الأمة الإسلامية من مشاكل، ومنها فساد ذات البين، والذي أوقع القطيعة والهجران، وبسببها أصبح أصدقاء الأمس أعداء اليوم والمستقبل، وبها وقعت الحالقة التي لا تَحلِقُ الشَّعَر، ولكنها تَحلَق الدِّين، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وغير خاف على كل عاقل ما يترتب على فساد ذات البين من عواقب لا تُحمد، من الهَجْر والتقاطع والتدابر، والبغضاء بين الناس، إلا ما رحم الله، و من رحمته بعباده أن شرع لهم ما يطفئ شره، ويزيل أثره، بوسائل وطرق متعددة أهمها وأبرزها الإصلاح بين المتخاصمين، سواء من قِبَل المختلفين أنفسهم، أو من قِبَل غيرهم.

وكذلك الشعوب نفسها، فإنها متناحرة فيما بينها مختلفة، متصارعة، ولهذا فإنك تجد أن أمة الإسلام أضعف الأمم، وأن الأمم الكافرة الفاجرة قد سلطها الله عليها؛ لأنها لم تعمل على إصلاح ذات البين، ولهذا فإن كثيرا من أعداء الإسلام يسعون إلى تحقيق إفساد ذات البين؛ وإذا فسدت قلوب أهله، صارت حياتهم في نزاع وصراع، وتناحر فيما بينهم، ولهذا صدق رسول الله-ﷺ- عندما قال: " إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة "[1] وما أشدها ظهورًا في زماننا وفي عصرنا، ولكن المسلمين لم يتنبهوا لهذا الأمر الخطير الذي يُهدِّد هذه الأمة –أفرادا ومجتمعات–.

إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب، لكنه حريص على التحريش بين المسلمين فجاء في الحديث الصحيح :((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))[2] فبالتحريش تحصل العداوة والبغضاء بينهم، ويساء الظن، ويقع الإثم، وتحل القطيعة، ويفرق الشمل، وتهتك الأعراض، وتسفك الدماء وتنتهك الحرمات.

ونظرًا لخطورة هذه الآفة على الأفراد والمجتمعات، وقع اختياري لهذا الموضوع والموسوم بـ(مشكلة فساد ذات البين أسبابها وأضرارها وعلاجها في الشريعة الإسلامية) والذي سيكون موضوع بحثي لأسهم برؤية شرعية تسعد الفرد والأمة، والله أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه.

خطة البحث: قد اشتملت خطة البحث على مقدمة وستة مباحث وخاتمة وهي:

المبحث الأول: مفهوم فساد ذات البين وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف فساد ذات البين لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: موقف الشرع من فساد ذات البين.

المبحث الثاني: أسباب فساد ذات البين.

المبحث الثالث: أضرار فساد ذات البين .

المبحث الرابع: الطرق الشرعية للوقاية والعلاج من مشكلة فساد ذات البين

المطلب الأول: الطرق الشرعية التي تقي من مشكلة فساد ذات البين

المطلب الثاني: الطرق الشرعية التي تعين على معالجة فساد ذات البين.

المبحث الخامس: فوائد وثمار إصلاح ذات البين.

المبحث السادس : الأحكام المتعلقة بمعالجة وإصلاح فساد ذات البين.

وسوف نتناول هذه المباحث بالتفصيل على النحو الآتي:

المبحث الأول

مفهوم فساد ذات البين

المطلب الأول: تعريف فساد ذات البين لغة واصطلاحًا

أولاً: فساد ذات البين لغة:

فساد ذات البين جملة مركبة من لفظين (فساد) و (ذات البين)

أ-تعريف الفساد لغة: من (فسد) فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَسادًا وفُسُودًا فهو فاسدٌ وفَسِيدٌ فيهما. والفسادُ نقيض الصلاح و (تَفَاسَدَ) القومُ تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام. والمُفْسَدَةُ خلاف المصْلَحة. والاستفسادُ خلاف الاستصلاح. (الفَسَادُ) التَّلف والعَطَبُ والاضطراب والخلل والجَدْب والقَحْط وفي التنزيل العزيز ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)) (الروم: ٤١) والفساد: إلحاق الضرر بدليل قوله تعالى: ((ويَسْعَوْنَ في الأَرض فسادًا)) (المائدة:٦٤) أَراد يَسْعَوْن في الأَرض للفساد.[٣]

ب- معنى ذاتُ البَيْن لغة: أي صاحبة البين، والبين بالفتح في كلام العرب يأتي على وجهين متضادين؛ فيأتي بمعنى الفرقة، ويأتي بمعنى الوصل.

ومنه (ذات البين) للعداوة والبغضاء. وقولهم: (لإصلاح ذات البين) أي لإصلاح الفساد بين القوم، والمراد إسكان الثائرة. و (بين) ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعدا، أوما يقوم مقام ذلك، كقوله تعالى: (عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)[٤](البقرة: ٦٨) ومنه قوله تعالى: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) (الأنفال:١) فأنثت (ذات) لأنَّ بعض الأشياء قد يوضع له اسم مؤنث، ولبعضها اسم مذكر، كما قالوا: دار وحائط ، أنثوا الدار وذكروا الحائط.[٥]

وكذلك الأمر في ذات البَيْن، فلكون الخصومة لا تتحقّق إلّا بين طرفين نسب إليها البَيْن ، فقيل: ذَاتُ البَيْنِ، أي الحالة والرابطة السيّئة التي هي صاحبة البين.(٦)

وقوله: (ذَاتَ بَيْنِكُمْ) كناية عن المنازعة والخصومة ، والذَّاتُ : هي الخِلْقة و البُنْية ، يقال: فلان في ذاته صالح في خِلْقته وبُنْيته، يعني أصلحوا نفس كلّ شيء بينكم، وأصلحوا حال كلّ نفس بينكم.(٧)

ثانيًا: تعريف فساد ذات البين اصطلاحًا

يُعرَّف فساد ذات البين اصطلاحًا بأنه: التَّسبب في المخاصمة والمشَاجرة بين اثنين، أو قبيلتين بحيث يحصل بينهما فُرْقة أو فَسَاد.(٨)

وقيل المراد بها: المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بَيْن أي فُرْقة.(٩)

ويستخلص من خلال التعاريف أن فساد البين اصطلاحًا يدور حول المخاصمة والمهاجرة.

المطلب الثاني: موقف الشرع من فساد ذات البين

بما أن فساد ذات البين هي ابتغاء الفتنة التي تؤدي إلى التسبب في المخاصمة والمشاجرة بين اثنين، أو قبيلتين بحيث يحصل بينهما فُرْقة أو فَسَاد وبغضاء وشحناء، وتَشَتُّت للمجتمعات، وتفرّقها، وضعفها، وتخلفها، والذي قد يفضي كل ذلك إلى القتل، فإنَّ حكم ذلك مُحَرَّمٌ كما دلت على ذلك سنة النبي ﷺ فقد حذَّر النبي- ﷺ-من فساد ذات البين، وبين خطرها، وأنها تحلق الدين، الذي هو أعظم شيء عند المسلم، -فعن أبي هريرة- رضي الله عنه-عن النبي-ﷺ-قال: ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تُسلموا ولا تُسلموا حتى تحابوا، أفشوا السَّلام تحابوا، وإياكم والبغضة (البغضة: نقيض الحب)(١٠) فهي الحالقة، لا أقول لكم تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين))(١١)، قال أبو عمر: فيه أوضح حجة على تحريم العداوة وفضل المؤاخاة وسلامة الصدور من الغل. (١٢)

- وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة ؟)) قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة(١٣)) (١٤).

وعن الزبير بن العوام -رضي الله عنه-أنَّ النَّبيَّ-ﷺ-قال:((دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاء هي الحالقة (١٥)لا أقول: تحلق الشعر، ولكنْ تحلق الدين)) (١٦).

ففي الحديث ترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثُلْمَةٌ في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه.(١٧)

فقوله ﷺ (فإن فساد ذات البين هي الحالقة) أي الخصلة التي شأنها أن تهلك وتستأصل الدين، كما يستأصل الموس الشعر، أو المراد المزيلة لمن وقع فيها، لما يترتب عليه من الفساد والضغائن. (١٨)

وقال الأخفش: ((أصل الحالقة من حلق الشعر، إذا وقع الفساد بين قوم من حرب أو تباغض حلقهم عن البلاد، أي أجلتهم وفرقتهم حتى يخلوها. وقال الباجي: ويحتمل عندي أن يريد أنها لا تبقي شيئا من الحسنات حتى يذهب بها، كما يذهب الحلق بالشعر من الرأس حتى يتركه عاريًا)). (١٩)

فَعُلِمَ من الحديث أن فساد ذات البَيْن تَحْلِق الدين وتهلكه، وتستأصله كما يستأصل الموس الشعر، وذلك لكثرة ما يترتب عليه من الفساد والضغائن، وكثرة ما تسبب من العداوات، وتشتيت القلوب، ووهن الأديان، وتسليط الأعداء، وشماتة الحُسَّاد، وهذا كله يدلُّ دلالةً واضحةً على تحريم فساد ذات البين. كما أنَّ فساد ذات البين فيه إيذاء للمسلم، والإسلام يحرم على المسلم أن يُؤذي أخيه المسلم، بأي بوجه من وجوه الإيذاء من قول أو فعل بغير حق. قال تعالى: ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) (الأحزاب: ٥٨) . وقال النَّبيّ- ﷺ-: ((وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ منَ الشر أنْ يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله))[٢٠] وفي حديث أَنَسِ بن مَالِكٍ -رضي الله عنه-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال))[٢١] وجه الدلالة من الحديث أنه لا يحل التباغض، لأن التباغض مفسدة للدين حالقة له، ولهذا أمر -صلى الله عليه و سلم- بالتواد والتحاب.[٢٢]

فالحديث فيه من القواعد العِظام التي تكون جامعة لقلوب المسلمين على الألفة والمودة، والمسلم أخو المسلم يكفُّ عنه الضُّر، ويجلب إليه النَّفع. وهذه القاعدة كان النَّبيُّ ﷺ يخطب بها في المجامع العظيمة، فإنَّه خَطَب بها في حِجّة الوداع يوم النَّحر، ويوم عرفة، واليوم الثاني من أيام التشريق، ولولا أهميتها لما كررها في أكثر من موضع. قال رجل لعمر بن عبد العزيز: اجعل كبير المسلمين عندك أبًا، وصغيرهم ابنًا، وأوسطهم أخًا، فأيُّ أولئك تحب أنْ تسيء إليه. ومن كلام يحي بن معاذ الرازي: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إنْ لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه[٢٣] .

المبحث الثاني

أسباب فساد ذات البين

إن من طبيعة البشر الاختلاف كونها نزعة بشرية، إلا أنه ليس للمسلم أن يصلَ به الخلافُ إلى الفجور؛ لأن الفجور في الخصومة يسبب العداوةُ والبغضاء والفُرقة بين الناس، وربما كان هذا بين ذوي القربى.

وقد ساعد على نشر هذه الآفة بين أبناء المجتمع الواحد عدد من العوامل والأسباب نبينها على النحو الآتي:

١-نزعات الشيطان: قال تعالى: ((وَقُل لِعِبَادِي يَقُولوا الّتي هِيَ أحسَنُ إنّ الشَيطَانَ يَنَزَغُ بَيَنَهُم إن الشَيطَانَ كَانَ للإنَسانِ عَدُوًّا مُبِينًا))(الإسراء: (٥٣)) وفي الحديث عن جابر قال: سمعت النبي -صلى الله عليه و سلم- يقول: ((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))[٢٤] هذا الشيطان لن يدع هذه الفُرْصة تفوت عليه ولن يتوانى هو وأعوانه- أهل الإفساد والشر والنَّميمة -في التحريش بينهم وإذكاء نار العداوة والبغضاء حتى تتحول هذه الشرارة إلى فتنة عظيمة، وشرٍّ مستطير لها عواقبها الوخيمة؛ فيساء الظن، ويقع الإثم، وتحلُّ القطيعة، ويُفَرَّقُ الشَّمْل، وتهتك الأعراض، وتسفك الدماء، وتنتهك الحرمات.

قال النووي: ((هذا الحديث من معجزات النبوة، ومعناه: أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن)).[٢٥] وعن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: ((إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة))[٢٦] فإيقاع العداوة والبغضاء هو منتهى قصد الشيطان، فإن كل عداوة أو بغضاء أصلها من المعصية، والشيطان يأمر بالمعصية ليوقع فيما هو أعظم منها ولا يرضى إلا بغاية ما قَدَرَ على ذلك، -وأيضًا- فالعداوة والبغضاء شرٌّ محضٌ، لا يحبهما عاقل، بخلاف المعاصي فإنَّ فيها لذَّة، والنفوس تريدها، والشيطان يدعو إليها، ليوقعها في شرّ لا تهواه.[٢٧] فالشيطان دائمًا يسعى للفُرقة، وزرع البغضاء بين المؤمنين، والوسوسة في صدورهم حتى يُولِّد الكراهية بينهم. ٢- ضعف الإيمان: من أسباب فساد ذات البَين ضعف الإيمان، الذي يؤدى إلى عدم الالتزام بالقيم الإسلامية، التي جعلت الوحدة والأخوة بين المسلمين من أعظم أصول الدين. وقد شرع الله للحفاظ على وحدة الأمة وجماعتهم تشريعات كثيرة، كتحريم كل الأسباب التي تؤدي إلى التنازع والشحناء، والحث على كل الصفات التي تزرع المحبة والاجتماع بين المؤمنين، من الأخذ بالعفو والصفح ورد السيئة بالحسنة، وتقبل العذر، والإعراض عن الجاهلين ونحو ذلك من كل خلق كريم رغَّب فيه الإسلام، فالمشاهد هذه الأيام أنَّ ضعفاء الإيمان لا يتورعون في دماء المسلمين، ولا في أموالهم ولا في أعراضهم، وذلك لضعف إيمانهم، قال تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (الأنفال: ١) .

ففي الآية أكد الله الأمر بإصلاح ذات البين بأن جعله من لوازم الإيمان وموجباته، بقوله تعالى بعد ذلك: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) قال الزمخشري: ((جعل التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، من لوازم الإيمان وموجباته، ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها)).[٢٨]

فدلت الآية على أنه لا يكتمل إيمان المؤمن إلا بهذه الأمور الثلاثة. قال الشوكاني: ((أي: امتثلوا هذه الأوامر الثلاثة إن كنتم مؤمنين بالله، وفيه من التهييج والإلهاب ما لا يخفى، مع كونهم في تلك الحال على الإيمان، فكأنه قال: إن كنتم مستمرين على الإيمان بالله؛ لأن هذه الأمور الثلاثة التي هي: تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول، لا يكمل الإيمان بدونها، بل لا يثبت أصلاً لمن لم يمتثلها، فإن من ليس بمتق وليس بمطيع لله ورسوله ليس بمؤمن))[٢٩]. قال القاشاني: "الاقتتال لا يكون إلا للميل إلى الدنيا، والركون إلى الهوى، والانجذاب إلى الجهة السفلية، والتوجه إلى المطالب الجزئية. والإصلاح إنَّما يكون من لزوم العدالة في النفس التي هي ظل المحبة التي هي ظل الوحدة، فلذلك أمر المؤمنون الموحدون بالإصلاح بينهما".[٣٠]

٣- الجهل وضعف العلم: إن شيوع الجهل وبعد الناس عن علم الكتاب والسنة من أسباب فساد ذات البين، ومن أقوى أسباب التشاحن والبغضاء، لأن أصل الشر والفساد سببه الجهل والهوى، والإنسان خُلق ظَلومًا جهولاً فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائما إلى علم ينافى جهله، وعدل ينافى ظلمه؛ وإلا كان فيه من الجهل و الظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم.[٣١]

فالعلم الشرعي يُورِّث الخشية الحاملة على طاعة الله، وترك معصيته، والجهل بالشرع حامل في كل زمان لمعصيته وفعل ما يغضبه؛ قال تعالى: ((وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))(النحل: ٥٤) قال أبو العالية:" أجمع الصحابة على أنَّ كل معصية فهي بجهالة سواء كانت عمدا أو جهلا " [٣٢] وقد بيَّن النبي -ﷺ- في سنته بأن قبض العلم، وظهور الجهل يؤدي إلى كثرة الفتن والقتال، قَالَ ﷺ : ((يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج، قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ فقال: (هكذا بيده فحرفها) كأنه يريد القتل))[٣٣] ولذا كان انتشار الجهل من أعظم فساد ذات البين.

٤- سوء الظن: لقد حَرَّم الإسلام سُوء الظن بالمسلم، وأمر باجتنابه، لأنَّه سبب لفساد ذات البين، فسُوء الظَّن ينافي حسن الظن، وحسن الظن من الإيمان، ، فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ))(الحجرات: ١٢) وقد حذر النبي- ﷺ – من الظنّ ونهى عنه واعتبره من أكذب الحديث، فقال: ((إياكم والظنَّ؛ فإنَّ الظن أكذب الحديث)).[٣٤] فالظن أي التُّهمة [٣٥] فالظن: تهمة تقع في القلب بلا دليل. [٣٦] فالمراد بالظن التُّهمة المجردة عن الحقيقة المبنية على الأوهام والشكوك. والظن المنهي عنه في الآية والحديث، هو الظن الموصوف بأنه (أكذب الحديث) لأنَّه لا يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه، ويجزم به فيكون الجازم به كاذبًا، وهو أشد من الكذب، لأن الاغترار به أكثر من الكذب لخفائه غالبًا. يقول الإمام القرطبي: وقد أجمع العلماء على أنَّه لا يجوز سوء الظن بأهل الفضل والإيمان.[٣٧]

وإنما حرم الإسلام الظن؛ لأنه سبب لفساد ذات البين، فعن معاوية- ﷺ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم)) [٣٨] لأن ذلك يحصل بسوء الظن، وكل ما حصل بسوء الظن فإنه يحصل منهم –أيضًا- إساءة الظن، وقد يحصل منهم أشياء يكونون قد أفسدوا فيها وقد يكون السبب في ذلك هو ظن السوء.[٣٩]

٥-التجسُّس وتتبُّع العورات: فالتَّجسُّس: هو البحث والتنقيب عن العورات، أو عن معايب الناس وعيوبهم. وقيل هو: التفتيش عن بواطن الأمور في الشر غالبًا.[٤٠] فالتَّجسُّس وتتبع عورات المسلمين سبب لفساد ذات البين، والشريعة الإسلامية قد جاءت بكل ما فيه حفظ المودة والترابط والأخوة بين أفرادها، ونهت عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف وفساد ذات البين، ومن ذلك أنها نهت عن التجسس واتباع عورات الناس، بل وأمرت من رأى عورة أخيه بالسّتر وعدم فضحه أو كشف سِرَّة، كُلُّ ذلك حتى تسود المحبة والألفة بين أفراد المجتمع المسلم. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا)) [الحجرات: ١٢] فالإسلام حرم التجسس وهو تتبع عورات المسلم، وعن أبي بُرزة الأسلمي قال: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[٤١] وفي رواية: ((يا معشر من أسلم بلسانه و لم

يدخل الإيمان في قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تُعيّروهم ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحلة))[٤٢] قوله: ((ولا تتبعوا عوراتهم)) : أي لا تجسسوا عيوبهم ومساويهم.[٤٣]

فمن اتصف بمثل هذه الصفة فإنها تحصل له الفضيحة ولو كان في بيته، وإن لم يكن بين الناس تصل إليه العقوبة، وتصل إليه الفضيحة، ويصل إليه جزاؤه في الدنيا بأن يفضحه الله عز وجل.[٤٤] وعن معاوية -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((إنَّك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كِدت أن تفسدهم)) فقال أبو الدرداء: ((كلمة سمعها معاوية من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفعه الله تعالى بها)).[٤٥] وكان السلف يُشدّدون في ذلك، فلا يرضون عن أحد أن ينقل لهم كلام غيرهم، لأن من نمّ لك نمّ عليك.[٤٦]قوله: (إنَّك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم) إلى آخره، قال أي: إذا بحثت عن معايبهم وجاهرتهم بذلك فإنه يُؤدّي إلى قلة حيائهم عنك، فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة.[٤٧]

٦- التناجي بالإثم والعدوان: إن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود.[٤٨] قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجَوا بالإثم والعدوانِ ومعصيتِ الرسول وتناجَوا بالبِرّ والتقوى، إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ))(المجادلة:٩) قال القشيري: ((إنما قَبُحَ التناجي منهم، وعَظُمَ خطره؛ لأنه تضمَّن فسادَ ذات البيْن، وخيرُ الأمور ما عاد بإصلاح ذات البيْن، (ولا تتناجوا بالعدوان) ، وهو شغل القلب بأمر الخلق، دفعًا وجلبًا، ضرًّا ونفعًا، إذ ليس بيدهم شيء)).[٤٩] فقوله: ((إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا)) لأنَّ الأغراض التي يتناجون فيها من أكبر ما يوسوس الشيطان من أهل الضلالة بأن يفعلوه، ليحزن الذين آمنوا بما يتطرقهم من خواطر الشر بالنجوى، وهذه العلة ليست قيدًا في الحصر، فإن للشيطان عللا أخرى مثل إلقاء المتناجين في الضلالة، والاستعانة بهم على إلقاء الفتنة، وغير ذلك من الأغراض الشيطانية.[٥٠] قال الألوسي: لما نهى عز وجل عما هو سبب للتباغض والتنافر أمر سبحانه بما هو سبب لِتَّواد والتَّوافق [٥١] قال ابن كثير: [٥٢]وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي، حيث يكون في ذلك تأذّ على مؤمن، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه))[٥٣]

٧-الهمز واللَّمز والتَّنابز: حرّم الإسلام الهمز واللَّمز والتَّنابز؛ لأنَّها سبب لفساد ذات البين، وذلك يقود إلى التباغض والتشاحن والمنازعات، وكل ذلك يهدد الروابط الاجتماعية بالتفكك والانهيار، فالهمز واللَّمز والتَّنابز أمراض سيئة من أمراض القلوب، وهي سببٌ لانتشار الحقد والضغائن، وفساد ذات البين، وتفكك المجتمع، لذا فلا يجوز لمسلم أنْ يستهزأ بأخيه المسلم بلسانه أو بيده، فإذا صنع فكأنما صنع ذلك بنفسه؛ لأنَّ المؤمنين جميعًا نفس واحدة، فلا يجوز لمسلم أنْ يسمي أخاه أو يصفه أو يلقبه أو يكنيه باسم يكرهه، بل يسميه بأحب الأسماء إليه. قال تعالى: ((وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ))(الحجرات: ١١) واللمز: العَيْب، قال ابن جرير: اللمز باليد والعين واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلاّ باللسان،ومعنى: ((لا تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ)): لا يلمز بعضكم بعضًا قال مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقال الضحاك: لا يلعن بعضكم بعضًا. ((وَلاَ تَنَابَزُواْ بالألقاب)) التنابز: لقب السوء، والتنابز بالألقاب أن يلقب بعضهم بعضًا.(٥٤)

فَيَحْرُمُ على المسلم أن يعيب أخيه المسلم سواءً كان باليد أوبالعين أو باللسان أو بالإشارة كما يَحْرُم عليه أن يلقبه بلقب يكرهه؛ لأنَّ كل ذلك من أسباب البغض المؤدي لفساد ذات البين.

٨-شهادة الزور: شهادة الزور كبيرة من أكبر الكبائر، وهي من الأمور التي تلحق أعظم الأذى بالمسلم، وسبب خطير من أسباب فساد ذات البين، فشهادة الزور تجعل الظالم مظلوم، والمظلوم ظالم، وتجعل الحق باطلاً والباطل حقًا، وهذا كله يؤدي إلى فساد ذات البين بين المظلوم وبين من شهد عليه، وينتج عن ذلك الشحناء والبغضاء والحقد والتفرقة والاختلاف بين الناس. وقد حذّر النبي – ﷺ – من ذلك أشدَّ التحذير فقال: ((ألا أُنبئُكم بأكبر الكبائر؟)) ثلاثًا: قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((الإشراك بالله، وعقوق الوالدين)) وجلس وكان متكئًا فقال: ((ألا وقول الزور)) . قال: فما زالَ يكررُها حتى قلنا لَيتَهُ سَكَتَ))(٥٥).

٩-الجدال والمراء: إنَّ كثرة المراء والجدال مدعاة للخصومة، ومجلبة للبغضاء والضغينة، والجدال يقسي القلب وهو سبب للقطيعة وفساد ذات البين. والمسلم إذا كان كثير المجادلة كان مذمومًا عند الناس؛ لذا قال بعض السلف: ((إذا رأيت الرجل لجوجًا مماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته)).(٥٦) والمجادلة تكون عن قصد إقحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل، وكثيرًا ما يكون السبب في المجادلة هو إظهار العلم والفضل والتهجم على الغير، بإظهار نقصه، وكلا السببين من الأمور المهلكة؛ إذ إن المسلم له حرمة، ومن حرمته أنْ لا تنتقصه لذا حذرنا النبي – ﷺ – أشد التحذير من احتقار المسلم فقال: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)) (٥٧)وقد رغّبَ الإسلام أشد الترغيب في ترك المراء والجدال، عن أبي أمامة: عن رسول الله –صلى الله عليه و سلم– قال: ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة(٥٨) لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه))(٥٩) وقال مسلم بن يسار: ((إياكم والمراء فإنَّه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته)) . وقيل: ما ضلَّ قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدل. وقال مالك بن أنس: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن.(٦٠)

١٠– السَّبُّ وبذاءة اللسان: إن الفحش والسَّب وبذاءة اللسان مذموم جدًا، لأنَّه سببٌ لفساد ذات البين، وذلك يقود إلى التباغض والتشاحن والاختلاف، وقد حرَّم الاسلام ذلك، فقال النبي–ﷺ–: ((ليس المؤمن بالطَّعان ولا اللَّعان ولا الفاحش ولا البذيء))(٦١) ولعل كثيرًا مما يحصل من السب والفحش والتفحش الذي يقع فيه كثير من الناس سببه الإيذاء بالآخرين، أو الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل المجون. وقال النَّبيُّ – ﷺ –: ((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر))(٦٢) قوله (سِبَابُ المسلم) أي سَبُّه وشتمه، والسباب أشد من السَّب، وهو أن يقول في الرجل ما فيه وما ليس فيه، يريد بذلك عيبه. (٦٣)

١١–السخرية والاستهزاء واحتقار الآخرين: حرّم الإسلام السخرية والاستهزاء بالآخرين؛ لأنَّه سبب لفساد ذات البين وذلك يقود إلى التباغض والتشاحن والمنازعات، وكل ذلك يهدد الروابط الاجتماعية بالتفكك

والانهيار، وهذه الاحترازات كلها من أجل أنْ يظل المجتمع مترابطًا متماسكًا قويًا، فسخرية المسلم من أخيه المسلم محرمةٌ شرعًا، وكذلك يحرم عليه أنْ يعيبه بقول أو فعل، وهذه الحرمة مستمرة سواء كان أخوك المسلم غائبًا أو حاضرًا. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُن)) (الحجرات: ١١) قال الشوكاني: السخرية: الاستهزاء. وحكى أبو زيد: سخرت به، وضحكت به، وهزأت به. ومعنى الآية: النهي للمؤمنين عن أن يستهزىء بعضهم ببعض، وعلل هذا النهي بقوله: ((عسى أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مّنْهُمْ)) أي: أن يكون المسخور بهم عند الله خيرًا من الساخرين بهم.(٦٤) والسخرية لا تكون باللسان فقط، بل تشمل الإشارة والإيماء. قال النَّبيُّ – ﷺ –: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"(٦٥) قال القرطبي: "فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق، وذلك لا يجوز".(٦٦) فالسخرية هي الاستهانة والتحقير مع نَبْز المقابل بالعيوب والنقائص.

١٢– إظهار عيوب الآخرين: فالسعي لإظهار عيوب الآخرين تكون في كثير من الأحيان سببًا في فساد ذات البين؛ لأنَّ من الناس من دأبه وديدنه إفساد ذات البين، فتجده يسعى بين الأحبة لإفساد ذات بينهم. وذلك عن طريق إظهار عيوب الآخرين، وهو أمر حرمه الله ورسوله – ﷺ – قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) (النور: ١٩). قال ابن رجب: ((قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أنْ تستر العصاة، فإنَّ ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام، وأولى الأمور سَتْر العيوب))(٦٧) فلهذا كانت إشاعة الفاحشة مقترنة بالتعيير، وهما من خصال الفجار؛ لأنَّ الفاجر لا غرض له في زوال المفاسد، ولا في اجتناب المؤمن للنقائص والمعايب، إنما غرضه في مجرد إشاعة العيب في أخيه المؤمن، وهتك عرضه، فهو يعيد ذلك ويبديه، ومقصوده تنقص أخيه المؤمن في إظهار عيوبه ومساوئه للناس، ليدخل عليه الضرر في الدنيا.

١٣– الإشاعة: كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق، تتناقل من شخص إلى شخص، عادةً بالكلمة المنطوقة، وذلك دون أنْ تكون هناك معايير أكيدة للصدق.(٦٨)

فالشائعات لها خطورتها وأضرارها الكبيرة في زعزعة أمن الناس واستقرارهم، وهي تحدث الفتنة وفساد ذات البين، والفوضى والبلبلة في أفكار الناس، وتفقدهم توازنهم، فلها تأثيرها على الروح المعنوية في إثارة الفتن والأحقاد بين الناس، وهذه الفتن والأحقاد قد تؤول إلى جرائم، فخطر الإشاعة يكمن في أنها تزيد من تفرُّق المسلمين، وتوقد نار الشحناء والبغضاء بينهم، فيجب الابتعاد عن هذا العمل؛ لأنَّه محرم مُبغَض عند الله تعالى، قال تعالى:((إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)) (النور: ١٥) فذكر سبحانه وتعالى أنَّ هذا الصنف من الناس يتلقى أعظم الأمور، وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام، فلسان يتلقى عن آخر بلا تدبر ولا فحص ولا إمعان، فينطق اللسان بالإشاعة الباطلة من غير وعي ولا عقل ولا قلب.

وقد نهى رسول الله –ﷺ– عن ذلك وبين أن الكلام من غير تَبَيُّن يكون سببًا في دخول النار قال النَّبيُّ– ﷺ–: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)).(٦٩)

١٤- التساهل في اتباع أوامر الله ورسوله في ما يخص من ضوابط التعامل بين الناس كالكتابة في الدين والشهادة والرهن وغيرها: قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ((وَلاَتَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ))(البقرة:٢٨٣) أعلم أنَّ الذي أمر الله تعالى به من الشهادة والكتابة لمراعاة صلاح ذات البَيْن، ونفي التنازع المؤدي إلى فساد ذات البين، لئلا يسول له الشيطان جحود الحق، وتجاوز ما حدَّ له الشرع، أو ترك الاقتصار على المقدار المستحق، ولأجله حرَّم الشرع البياعات المجهولة التي اعتيادها يؤدي إلى الاختلاف وفساد ذات البين، وإيقاع التضاغن والتباين.(٧٠)

قال الجصَّاص: وآية الدَّين بما فيه من ذكر الاحتياط بالكتاب والشهود المرضيين، والرهن تنبيه على موضع صلاح الدين والدنيا معه، فأما في الدنيا فصلاح ذات البين، ونفي التنازع والاختلاف، وفي التنازع والاختلاف فساد ذات البين، وذهاب الدين والدنيا، قال تعالى: ((وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ))(الأنفال:٤٦) وذلك أن المطلوب إذا علم أن عليه دينًا وشهودًا وكتابًا ورهنًا بما عليه وثيقة في يد الطالب قل الخلاف، علمنا منه أنَّ خلافه وبخسه لحق المطلوب لا ينفعه، بل يظهر كذبه بشهادة الشهود عليه، وفيه وثيقة واحتياط للطالب، وفي ذلك صلاح لهما جميعًا في دينهما ودنياهما. . . وهذا نظير ما حرمه الله تعالى على لسان نبيه – من البياعات المجهولة القدر، والآجال المجهولة، والأمور التي كان عليها الناس قبل مبعثه – ﷺ – مما كان يؤدي إلى الاختلاف، وفساد ذات البين وإيقاع العداوة والبغضاء.(٧١)

١٥-الغيبة: (٧٢)ومن الأمور التي تؤدي إلى فساد ذات البين الغيبة، فالغيبة داءٌ فتّاكٌ ومِعْوَلٌ هدّام يفتك في بنيان المجتمع، وهو أسرع إفسادًا في المجتمع من السَّرطان في الجسد، والغيبة تُعرِّض العلاقات للانهيار، وتزعزع الثقة بين الناس، وتغيّر الموازين، وتقلع المحبة والألفة والنصرة من بين المؤمنين، وتثبت جذور الشر والفساد بين الناس؛ ولذا حرمها الإسلام بل هي من كبائر الذنوب بإجماع العلماء، قال القرطبي: ((لا خلاف أنَّ الغيبة من الكبائر، وأنَّ من اغتاب أحدًا عليه أنْ يتوب إلى الله – عز وجل))(٧٣). وقد حرمها الله وذمها في القرآن العظيم بقوله تعالى: ((وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)) (الحجرات: ١٢٩) ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((وقد ورد فيها – يعني: الغيبة – الزجر الأكبر، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال – عز وجل –: ((أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)) ، أي: كما تكرهون هذا طبعا، فاكرهوا ذاك شرعًا؛ فإن عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها.(٧٤) ففي الآية صوّرَ اللهُ الإنسانَ الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة فمثّله بمن يأكل لحم أخيه ميتًا، ويكفي قبحًا أنْ يجلس الإنسان على جيفة أخيه المسلم يقطع من لحمه ويأكل.

والغيبة مرضٌ خطيرٌ وشرٌ مستطيرٌ، يفتك الأمة ويبثُّ العداوة والبغضاء بين أفرادها، وهذا المرض لا يكاد يسلم منه أحد إلا من رحم الله. وهي محرمة في السنة النبوية يدل على ذلك قول النَّبيّ – ﷺ – في حجة الوداع في شهر ذي الحجة في الحرم المكي: ((فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في

شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب فإنَّ الشاهد عسى أنْ يبلغ مَن هو أوعى له منه))[٧٥] والذي يتأمل هذا الحديث يعلم حرمة الغيبة، وأنَّها كحرمة يوم النَّحر في شهر ذي الحجة في الحرم المكي.

١٦-النميمة [٧٦]: النميمة من أسباب فساد ذات البين، وطريق إلى القطيعة والتنافر، ووسيلة إلى الوشاية بين الناس وإفساد قلوبهم. فمن الأمور التي تكون دائما سببًا لفساد ذات البين الاستماع للنَّمامين الذين ينقلون الكلام بين الطرفين من أجل إفساد ذات البين، وتبعيد الشقة، وزيادة نار الفتنة، ولذا حرم الله – عز وجل – المشي بالنميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين قال تعالى: ((وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)). (القلم: ١٠ – ١١)

بل هي من كبائر الذنوب، ومن أسباب عذاب القبر وعذاب النار، والنَّمام محروم من دخول الجنة فقد قال النَّبيُّ – ﷺ –: ((لا يدخل الجنَّة نمام)) ، ولفظ البخاري: ((لا يدخل الجنَّة قتات))[٧٧] . قَالَ الْعُلَمَاء: "النَّمِيمَة نَقْل كَلاَمِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بَيْنهمْ"[٧٨] وقال ابن حجر: "النَّمِيمَة نَقْل حَال الشَّخْص لِغَيْرِهِ عَلَى جِهَة الْإِفْسَاد بِغَيْرِ رِضَاهُ سَوَاء كَانَ بِعِلْمِهِ أَمْ بِغَيْرِ عِلْمه"[٧٩] وروى ابن عباس –رضي الله عنهما–: أنَّ رسول الله – ﷺ – مر بقبرين فقال: ((إنَّهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنَّه كبير: أما أحدهما، فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله))[٨٠] وقال ﷺ: ((أَلا أُنبئكم ما العَضْهُ [٨١] ؟ هيَ النَمِيمَةُ القالةُ بين الناس))[٨٢]

فالنميمة من أمراض النفوس، وهي داء خبيث يسري على الألسن فيهدم الأسر، ويفرق الأحبة، ويقطع الأرحام. فالنَّمام لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة، والغل والحسد، والنفاق، والإفساد بين الناس والخديعة.

١٧ – الحقد والحسد: فالحقد والحسد صفتان ذميمتان ذمهما الإسلام وحرمهما، لأنَّهما مدعاةٌ إلى الهجر والمقاطعة وفساد ذات البين، وهما صفتان تذمهما الفطرة السليمة. والحقد: أنْ يلزم قلبك استثقال أخيك المسلم والبغضة إليه، والنفار منه وأنْ يدوم ذلك ويبقى. والحسد: هو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت هذه النعمة دينية أو دنيوية، وقد قال تعالى في ذمّ الحاسدين واستنكار فعلهم: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه)) (النساء: ٥٤) وقد نهى رسول الله عن الحقد والحسد فقال النَّبيُّ – ﷺ –: ((لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا[٨٣]ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحلُ لمسلم أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث))[٨٤] فالحسد يولد الغيبة والنميمة والبهتان على المسلمين، والظلم والكبر ويفسد فيما بينهم.

المبحث الثالث

أضرار فساد ذات البين

لفساد ذات البين أضرار عظيمة وعواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، فهو يؤدي إلى الاختلاف والتنازع وضعف الأمة، وذهاب قوتها، وتسلط عدوها عليها، ويكون سببًا لقطع الأرحام، وتبديد الأموال، ومرض القلوب

والأبدان، ورفع الرحمة، وذهاب البركة، وتضييع الأوقات فيما لا يعود على الفرد والجماعة والأمة بخير. ويمكن إيضاح هذه الأضرار على النحو الآتي:

١-فساد ذات البين يؤدي إلى الاختلاف والتنازع، المفضي إلى الفشل والهزيمة وذهاب قوة المسلمين: فقد جاء التأكيد على الصلح في القرآن الكريم من خلال الأدلة الكثيرة التي تبين عواقب نقيضه وهو الاختلاف والنزاع، قال تعالى: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (الأنفال: ٤٦) قال العلماء: " أمر الله تعالى في هذه الآية بطاعته وطاعة رسوله، ونهى بها عن الاختلاف والتنازع، وأخبر أن الاختلاف والتنازع يؤدي إلى الفشل، وذهاب القوة، وقوله في هذه الآية ((وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) أي قوتكم. وقيل: نصركم.[٨٥].

٢- ومن أضرار فساد ذات البين أنَّه سبب في تفكيك المجتمع، وإثارة الفتن وجلب العداوة والبغضاء بين الناس. والتي قد تفضي إلى القتل وما سواه، بسبب ما يجلبه من البغضاء والشحناء، والتفرق الذي تجري معه الأمور بخلاف ما أمر الله -عز وجل -به فيها، بقوله: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))(آل عمران، آية: ١٠٣). [٨٦] فقد جعل الله المحبة الخالصة بين المسلمين من أوثق عرى المحبة في الله، وقد وثّق الإسلام ذلك بوجوب المحافظة على مال المسلم، وعرضه ونفسه، بأنْ لا يصيبه المسلم بأذى، ولا يمسه بسوء، وفساد ذات البين يُعرَّض كل ذلك للتفكك والضياع.

٣- ومن أضرار فساد ذات البين أنها تَحلق الدِّين وتهلكه، وتستأصله كما يستأصل الموس الشَّعر، وذلك لكثرة ما يترتب عليه من الفساد والضغائن، وكثرة ما تسبب من العداوات، وتشتيت القلوب، ووهن الأديان، وتسليط الأعداء، وشماتة الحساد، وهذا كله يدل دلالة واضحة على تحريم فساد ذات البين. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاء هي الحالقة [٨٧]لا أقول: تحلق الشعر، ولكنْ تحلق الدين))[٨٨]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ:((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ))[٨٩] والمراد بَسُوءِ ذَاتِ الْبَيْنِ إِنَّمَا يَعْنِي الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. والمراد بالْحَالِقَةِ: أي التي تَحْلِقُ الدِّينَ وتستأصله، كما يستأصل الموس الشعر ويتركه عاريا، أي إنها لا تبقي شيئا من الحسنات.[٩٠] وقيل: الحالقة أي الماحية للثواب المؤدية إلى العقاب، أو المهلكة. [٩١]

٤- ومن أضرار فساد ذات البين أنه يُحرم الإنسان من مغفرة الله والذي تُحجب بسبب التقاطع والشحناء، ففي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا)) [٩٢]

٥- ومن أضرار فساد ذات البين أنه يأكل الحسنات: لحديث أن النبي -ﷺ- قال: ((إياكم وسوء ذات البين، فإنها الحالقة))[٩٣] والمراد بالحالقة أي التي تحلق الدين، وتستأصله كما يستأصل الموس الشعر، ويتركه عاريا، أي إنها لا تبقي شيئا من الحسنات.[٩٤] وقيل: الحالقة أي الماحية للثواب المؤدية إلى العقاب، أو

المهلكة.[٩٥] قال الباجي مُعَلِّقا على الحديث السابق-: ويحتمل عندي أن يريد أنها لا تبقي شيئا من الحسنات، حتى يذهب بها كما يذهب الحَلق بالشَّعر من الرأس حتى يتركه عاريًا.[٩٦]

٦- كما أنَّ الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده، كما قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ))(يونس:٨١) وليس المرادُ بعدم إصلاحِ عملِهم عدَم جعل فسادِهم صلاحًا، بل عدمَ إثباتِه وإتمامِه، أي لا يُثبته ولا يُكمله ولا يُديمه، بل يمحقه ويُهلكه ويسلِّط عليه الدَّمار.[٩٧]

٧- فساد ذات البين من أعظم الأسباب في القضاء على كيان الدولة والأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) (الأنفال: ٤٦) ففساد ذات البين يؤدي إلى ضعف الأمة، وذهاب قوتها، وتسلط عدوها عليها فتُصابُ بالضعف والجُبن. لأنَّ فساد ذات البين يكون سببًا في اختلاف القلوبِ المفضي إلى الفشل. قال الطبري: (ولا تنازعوا فتفشلوا): لا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا [٩٨]وقال الزمخشري: الرِّيح: الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشِّيه بالرِّيح في هبوبها، فقيل هَبَّتْ رياح فلان إذا دانت له الدولة ونَفُذَ أمره.[٩٩] وترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يَضْمِرُ بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضًا، فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك. [١٠٠]

٨- فساد ذات البين سببٌ لحلول القطيعة والهجران وتفريق شمل المسلمين، ووجه ذلك أن تأثير النفوس إذا اتفقت يتوارد على قصد واحد، فيقوى ذلك التأثير، ويسرع في حصول الأثر، إذ يصير كل فرد من الأمة معينا للآخر، فيسهل مقصدهم من إقامة دينهم. أما إذا حصل التفرق والاختلاف فذلك مُفض إلى ضياع أمور الدِّين من خلال ذلك الاختلاف، ثم هو لا يلبث أنَّ يلقي بالأمة إلى العداوة بينها، وقد يجرُّهم إلى أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، ولذلك قال الله تعالى: ((وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) (الأنفال: ٤٦) [١٠١]قال السعدي: " الإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتباغضب يوجب من الشر والفُرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حثَّ الشارع على الإصلاح بين الناس في الدِّماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان، كما قال تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)) (آل عمران: ١٠٣)[١٠٢] وعن أبي أيوب الأنصاري-رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)).[١٠٣]

٩- من أضرار فساد ذات البين أنها أذيةٌ لعباد الله المؤمنين، ومن آذى عباد الله فقد توعده الله بعذاب شديد، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) (الأحزاب: ٥٨) فينبغي للعبد أنْ يعلم أنْ جميع المعاصي محاربةٌ لله؛ وقال رسول الله - ﷺ -: ((مَن ضارَّ أَضرَّ اللهُ به، ومن شاقَّ شقَّ اللهُ عليه)) [١٠٤] فقوله: " من ضار " أي مسلمًا بمعنى: أدخل على مسلم مضرة في ماله أو نفسه أو عرضه بغير حق " أَضرَّ الله به " أي جازاه من جنس فعله، وأدخل عليه المضرة، ومن شاقَّ مسلمًا، أي نازع مسلمًا ظلمًا وتعديًا " شقّ الله عليه " أي أنزل الله عليه المشقة جزاءً وفاقًا.[١٠٥]

١٠- ومن أضرار فساد ذات البين –أيضًا- أنَّه ظلم واعتداء على الآخرين، ومعلوم أنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، وأنَّ أثر الظلم سيءٌ، وعاقبته عاقبةٌ وخيمةٌ، قال تعالى: ((وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ))(إبراهيم: ٤٢) . وفي الحديث القدسي: ((يا عبادي، إني حرّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا)).(١٠٦)

١١- ومن أضرار فساد ذات البين أنَّه يوجب العذاب يوم القيامة، فهو من المعاصي العظيمة، ومقترفه يقع في حقين: حق الله، وحق العبد، وهو محاسَب على تقصيره بحق الله. فأما حق العبد فهو إما أنْ يتحلله في الدنيا، أو يعطيه من حسناته أو يحمل من سيئاته إنْ لم يكن له حسنات يعطيه منها، وهذا هو المفلس كما ورد في الحديث قول النبي ﷺ: ((أتدرون من المفلس؟)).قالوا : المُفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع ، فَقَالَ:((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)) (١٠٧)

١٢- ومن آثار وأضرار فساد البين أنَّه يُعرِّض صاحبه للافتضاح، فكلما فضحَ الإنسانُ غيرَه فإنَّ الله يفضحه؛ إذ الجزاء من جنس العمل، وقد قال النَّبيُّ – ﷺ -: ((يا معشر مَن آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمينَ، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنَّه من يتَّبع عوراتهم يتبع اللهُ عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)) (١٠٨)

المبحث الرابع

الطرق الشرعية للوقاية والعلاج من مشكلة فساد ذات البين

تمهيد: قد يقع الخلاف بين الناس، ويحدث الخِصَام بين جميع فئات المجتمع، بين الرجل وزوجته، وبين القريب وقريبه، وبين الجار وجاره، وبين الشَّريك وشريكه، وبين العشائر بعضها مع بعض، وهذا حال البشر، وهو أمر مشاهد لا يمكن إنكاره، وأسبابه كثيرة، وقد ذكرنا أهمها في المبحث الثاني.

إلا أن الإسلام بعقائده وعباداته ومعاملاته وآدابه يدعو إلى بناء مجتمع خيّر فاضل متماسك بروابط أخوية، تمنع من خلالها فساد ذات البين، ثم تذهب بعد ذلك روح الأنانية والبغضاء والتشاحن، وإذا زال السوء فسيحل محلَّه الحب والإخاء، والمودة والموالاة والتكافل والتعاون، فالمجتمع الإسلامي كله يسعى لهدف واحد هو مرضاة الله –سبحانه وتعالى- بالقول والعمل؛ وسيؤول إلى سعادة البشر في الدنيا والآخرة.

فمن هداية الله تعالى للمؤمنين، ورحمته بهم، أن وحد كلمتهم بالإسلام، وجمع قلوبهم بالإيمان، فلمّ به شعثهم، وأزال ضغائنهم، وشفى صدورهم، فكانوا إخوة في دين الله تعالى متحابين متجالسين متباذلين، كالبنيان يشد بعضه بعضا ((وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)) [آل عمران:١٠٣] وفي الآية الأخرى ((وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [الأنفال:٦٣]، وما من سبيل يزيد من لُحْمَة المؤمنين، ويؤدي إلى ترابطهم

وتآلفهم إلا جاءت به الشريعة وجوبا أو ندبا، وما من طريق تؤدي إلى التفرق والاختلاف، والضغينة والشحناء، والقطيعة والبغضاء إلا حرمتها الشريعة، وأوصدت طرقها، وسدت سبلها؛ ولذلك أمرت الشريعة بالبر والصلة، وحرمت العقوق والقطيعة. وأمرت بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والحب في الله تعالى، والزيارة فيه، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وحفظ حقوق الأهل والقرابة والجيران، وجعلت للمسلم على أخيه المسلم حقوقا يحفظها له، فيؤجر عليها، وأرشدت إلى كثير من الآداب والأخلاق التي من شأنها أن تقوي الروابط، وتديم الألفة، وتزيد في المودة والمحبة بين الناس.

وكما حرمت الشريعة الهمز واللمز والسخرية، والغيبة والنميمة، والقذف والبهتان، والشتم والسباب، والكذب والمراء، والفجور والجدال، وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي من شأنها أن تسبب الضغائن والخصومات، وتؤجج نيران الأحقاد والعداوات.

ولذا فإنَّ الإسلام حرص على وحدة المسلمين وأكَّد على أخوتهم، وأمر بكل ما فيه تأليف لقلوبهم، ونهى عن كل ما يُؤدي إلى أسباب العداوة والبغضاء بينهم، كما حرص الإسلام-أيضًا- على وضع علاج لمشكلة فساد ذات البين وسلك في ذلك مسلكين:

الأول: مسلك وقائي قبل وقوعه وهو تحريم فساد ذات البين، وكل العوامل والأسباب التي قد تؤدي إلى ذلك، وهذا ما سبق بيانه في المباحث السابقة، وبقيت بعض الأمور سنذكرها في هذا المبحث.

الثاني: أمر الإسلام بالسعي في إصلاح ذات البين، و حثه على ذلك، وجعل درجته أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ، فإصلاح ذات البين من الدعائم المهمة للحفاظ على المجتمع الإسلامي من التفكك، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث مبتدئين بالطرق الشرعية التي تقي صاحبها من مشكلة فساد ذات البين.

المطلب الأول: الطرق الشرعية التي تقي من مشكلة فساد ذات البين

المسلم مطالب بتزكية نفسه والبعد عن الغل والحقد والحسد، وفعل أو ترك كل ما يؤدي إلى فساد ذات البين، ومن ذلك الصبر على ما يصيبه من أذى، والعفو عن ذلك حتى يكون من أصحاب القلوب السليمة، وفي هذا المطلب نذكر بعض الأمور التي تقي وتعين المسلم على الابتعاد عن آفة إفساد ذات البين، وهي على النحو الآتي:

١- الاستعاذة بالله -تعالى- من الشيطان والحذر من الساعي للإفساد فربما كان من شياطين الإنس. قال تعالى: في شأن المنافقين: ((لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)) (التوبة:٤٧). قوله تعالى: ((وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ)) المعنى: لأسرعوا فيما بينكم بالإفساد. والإيضاع، سرعة السير. والخلل الفرجة بين الشيئين، أي: لأوضعوا خلالكم بالنميمة، وإفساد ذات البين. ((يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ)) والمعنى: يطلبون لكم الفتنة، أي الإفساد والتحريض.[١٠٩]

٢- الصبر على الأذى والصفح عنه ومغفرته ومقابلته بالإحسان: كثير من الناس يجهل أنَّ العفو عن الظلم أحب إلى الله من الانتصار للنفس بالحق، وهو من الأفعال الحميدة التي يثاب عليها العبد ثوابًا عظيمًا، قال تعالى

((وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (البقرة: ٢٣٧) خاصَّة إذا كان العفو تَسْكُن به الفتنة، وتَدرأ به المفسدة، وإذا كان من أبغض الأمور الانتصار للنفس بالباطل، فكثير من الناس يستذله الشيطان في ساعة الغضب فيدفعه للانتصار لنفسه ولو بغير حق، ويصدُّه من التحلى بصفات المؤمنين التي وصفهم الله بها في كتابه، كما في قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)) (الشورى: ٣٧) ، قال الزمخشري: ((وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)) أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب، لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حُلُوم الناس والمجيء بهم. (١١٠)

فالمسلم يرغب فيما رغبه الله فيه، من العفو عن المسيء حتى ينال الأجر بغير حدود، كما في قوله تعالى: ((وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (الشورى: ٤٠) ((فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)) عِدَة مُبْهَمَةَ مُنْبِئة عن عِظَم شأن الموعود، وخروجه عن الحدِّ المعهود. (١١١) ، وقال تعالى: ((وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (الشورى: ٤٣) ، أي ولمن صبر على ما يناله من أذى الخلق وغفر لهم بأن سمح لهم عمَّا صدر منهم" ((إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) أي: الأمور التي حثَّ الله عليها وأكَّدها، وأخبر أنَّه لا يُلقَّاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر، فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل من أشق الأشياء عليها، والصبر على الأذى والصفح عنه ومغفرته ومقابلته بالإحسان أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان بالله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته ووجد آثاره تلقاه برحب الصدر وسعة الخلق والتلذذ فيه " (١١٢)

٣-إخلاص العمل لله وحده: قال تعالى: ((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين))(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣) وفي حديث النبي -ﷺ-: ((ثلاث لا يغل(١١٣) عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)) (١١٤) قال ابن القيم: في معنى هذا الحديث: أي لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله وتنقيه منه وتخرجه عنه ... بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السنة.(١١٥)

ومن المعلوم أنَّ من أخلص دينه لله، فلن يحمل في نفسه تجاه إخوانه المسلمين إلا المحبة الصادقة، وعندها سيفرح إذا أصابتهم حسنة، وسيحزن إذا أصابتهم مصيبة؛ سواءً كان ذلك في أمور الدنيا أو الآخرة.

٤-رضا العبد عن ربه وامتلاء قلبه به: والمقصود برضى العبد عن ربه هو الرضى عنه في كل ما قضى وقدَّر، قال ابن القيم وهو يتحدث عن منزلة الرضى: إنَّ الرضى يفتح للعبد باب السلامة فيجعل قلبه سليمًا نقيًا من الغشّ والدَّغل والغِّل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، وتستحيل سلامة القلب مع السَّخط وعدم الرضا، وكلما كان العبد أشد رضىً كان قلبه أسلم. فالخُبْث والدَّغَل والغش قرين السُّخط، وسلامة القلب ورضاه وبره ونصحه قرين الرضى، وكذلك الحسد هو من ثمرات السُّخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى.(١١٦)

٥- قراءة القرآن وتدبره: إن تلاوة القرآن الكريم هي أعظم دواء لأمراض القلوب، بشرط أن تجد قلبًا يقبل الحق، ويرفض الباطل، فهو دواء لكل داء، والمحروم من لم يتدبر كتاب الله، قال تعالى: ((قُل هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُوا هُدىً وَشِفَآءٌ)) (فصلت: ٤٤) ، وقال: ((وَنُنَزِلُ مِنَ القُرءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظّالِمِينَ إلا خَسَارًا)) (الإسراء: ٨٢) ، وقال تعالى:((يَاأيُها النّاسُ قَد جَآءتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِكُم وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُدُورِ)) (يونس: ٥٧) . فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية.

٦- تذكر الحساب والعقاب: فالمسلم يتذكر دائمًا الآخرة والحساب والعقاب الذي ينال من يُؤذي المسلمين من جراء خُبث نفسه، وسوء طويته من الحقد والحسد، والغيبة والنميمة، والاستهزاء وغيرها.

٧- حُسنُ الظَّنِ بالمسلمين: إنَّ حسن المسلم الظن بإخوانه المسلمين من أهم الأمور المعينة على الابتعاد عن آفة افساد ذات البين، فَحُسْن الظَّن دليلٌ على سلامة القلب، وعن سعيد بن المسيب أنه قال: ((كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله، أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه)).[١١٧]

٨- النصيحة : فالنصيحة من الأمور التي تُعين المسلم على الابتعاد عن آفة إفساد ذات البين، وسبب لسلامة القلب من الحقد والغل والحسد، فالمسلم حريص على نصيحة إخوانه سرًّا، بدون توبيخ أو تشهير، وذلك فيما يعتقد أنه يخالف الكتاب والسنة، ويمكن أن تكون هذه النصيحة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ولكن دون تجريح. قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير.[١١٨]

٩- الدعاء بسلامة القلب: فيدعو العبد ربه دائمًا أن يجعل قلبه سليمًا على إخوانه، وأن يدعو لهم – أيضًا- فهذا دأب الصالحين، قال تعالى: ((وَالذّينَ جَآءُو مِن بَعدِهِم يَقُولُونَ رَبَنَا اغفِر لَنَا وَلإخوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ وَلاَ تَجعَل فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلّذِينَ ءَامَنُوا رَبَنَا إنّكَ رَءُوفٌ رّحِيم))(الحشر: ١٠) فينبغي للمسلم أن يلجأ إلى الله بالدعاء، ويرجوه أن يجعل قلبه سليمًا من الغل والحقد والحسد، والدعاء بسلامة القلب من صفات عباد الرحمن، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ((كان النبي -ﷺ- يدعو: ربِّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي)). [١١٩]

١٠- إفشاء السَّلام: إن إفشاء السَّلام يؤلف بين القلوب المتنافرة، وينشر المحبة، ويذهب العداوة والبغضاء بين المسلمين. عن الزبير بن العوام ﷺ أنَّ النَّبيَّ-ﷺ-قال:((دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاءُ، هي الحالقة [١٢٠]لا أقول: تحلق الشعر، ولكنْ تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذاك لكم أفشوا السلام بينكم))[١٢١]وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[١٢٢] قال ابن عبد البر: ((في هذا دليل على فضل السلام لما فيه من رفع التباغض وتوريث الود).[١٢٣]

١١-الهدية: إن للإحسان تأثيرًا كبيرًا في طبع الإنسان، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، ولذا فإن الهدية تؤلف بين القلوب، وتذهب العداوة والحسد منها، وتُعبِّر عمَّا في قلب من يقوم بإهدائها من حب واحترام للآخرين، من أجل ذلك حثنا عليها الإسلام. عن أبي هريرة – ﷺ – أن النبي ﷺ قال: ((تهادوا تحابوا)).(١٢٤)

١٢- أن يتذكر المسلم أن من يَنْفُث عليه سُمُومه، ويناله بسهامه هو أخ مُسلم، ليس يهوديًا ولا نصرانيًا بل يجمعه به رابطة الإسلام، فلا يوجه الأذى نحوه، وليتذكر المسلم دائمًا قول النَّبيّ – ﷺ -: ((كونوا عباد الله أخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا-ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ منَ الشر أنْ يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله)) (١٢٥).

١٣ – عدم الاستماع للغيبة والنميمة: حتى يبقى قلب الإنسان سليمًا، قال -ﷺ-: ((لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر))(١٢٦) والكثير اليوم يلقي بكلمة أو كلمتين تُوْغِر الصُّدور، خاصة في مجتمع النساء، وفي أوساط البيوت من الزوجات، أو غيرهن.

١٤-أن يتذكر المسلم الحقوق الشرعية الواجبة عليه، لاسيما لذوي الأرحام والأقارب؛ ففساد ذات البين قد تجرُّه إلى قطيعة الرحم، ومعلوم تحريم الشرع لذلك، قال تعالى: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)) (مُحَمَّد:٢٢).

١٥-الإنصاف من نفسك إن وجدت الحق عليك، ذكر البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن عمار بن ياسر -ﷺ- أنه قال: " ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ"(١٢٧).

١٦-السعي في إصلاح ذات البين: وهو ما سنتناوله في بقية البحث.

المطلب الثاني: الطرق الشرعية التي تعين على معالجة فساد ذات البين.

سبق وأن ذكرنا الاحترازات الشرعية التي رِبى الإسلام أهله عليها لكي لا يقعوا في مشكلة فساد ذات البين، ومع كل ذلك إلا أن الإنسان وهو يعيش صخب الحياة ومشكلاتها لا بد أن يعتريه غضب وسهو وغفلة، فيعتدي على أخيه بقول أو فعل في حال ضعف منه عن كبح جماح نفسه، وتسكين سورة غضبه، وحتى لا يتسبب هذا الخطأ منه في الخصومة والقطيعة التي يغذيها الشيطان، وينفخ في نارها؛ رتب الإسلام أجورا عظيمة على الحلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس، ووعد الله سبحانه وتعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس جنةً عرضها السموات والأرض، وأُمر المعتدي برفع ظلمه، والرجوع عن خطئه، والاعتذار لمن وقع عليه اعتداؤه.

إنها تشريعات ربانية عظيمة جليلة لو أخذ الناس بها لما وجد الشيطان عليهم سبيلا، ولما حلَّت في أوساطهم القطيعة والخصومة، ولكن الشيطان وإن أيبس أن يعبده المصلون فإنه لم ييأس من التحريش فيما بينهم، وبث الفرقة والاختلاف فيهم، والنيل منهم بالعداوة والخصومة؛ ولذا فهو يزين للمعتدي سوء عمله، وإصراره على خطئه، وتماديه في جهله، ويحرض المعتدى عليه على الانتصار لنفسه، وأخذ حقه، والنيل ممن اعتدى عليه وعدم

العفو عنه، وحينئذ تدب الخصومة والفرقة التي تتولد عنها الضغينة والقطيعة، وقد يصل ذلك إلى الاعتداء والاقتتال.

من أجل ذلك شرع الإسلام إصلاح ذات البين، وأمر الله تعالى به، وأباح للمصلحين ما حرَّم على غيرهم، ورتب أعظم الأجور على هذه المهمة العظيمة. وهذا ما سنتناوله على النحو الآتي:

أولاً: الصلح بين المتخاصمين:

أولاً: الإسلام يأمر بالإصلاح بين الناس بصفة عامة: لقد أمر الإسلام بالصلح بين الناس بصفة عامة وجاء الأمر به والحث عليه في الكتاب والسنة والإجماع [١٢٨].

أما الكتاب: فقوله تعالى:((فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))(الأنفال: ١). وقوله: ((وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ)) (الحجرات: ٩) ، وقال: ((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)) (النساء: ١٢٨) ، وقال: ((وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)) (النساء: ١٢٠) ، وقال: ((لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) (النساء: ١١٤) .

وأما السنة النبوية: أن رسول الله ﷺ قال: ((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، [١٢٩]والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)) [١٣٠]. وقول النبي ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة! ؟ قلنا: بلى، قال: إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين الحالقة))[١٣١].

وأما الإجماع: فقد أجمع العلماء على مشروعية الصلح، لكونه من أكثر العقود فائدة، لما فيه من قطع النزاع والشقاق. [١٣٢]

ثانيًا: الإسلام يأمر بإصلاح ذات البين: وكما أن الإسلام أمر بالإصلاح بين الناس بصفة عامة فقد أمر بإصلاح ذات البين على وجه الخصوص وأوجب ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، يقول محمد رشيد رضا: ((وأمرنا في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين، فهو واجب شرعا تتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها، وتحفظ بها وحدتها)).[١٣٣] واعتبر العلماء القيام بالصلح بين الناس من فروض الكفاية التي أمر الله بها وحث عليها بصورة عامة. قال ابن العربي: ((فإذا وقع الصلح سقط الإثم على المصلح؛ لأن إصلاح الفساد فرض على الكفاية فإذا قام به أحدهم سقط عن الباقين وإن لم يفعلوا أثم الكل)) [١٣٤] ومما يدل على ذلك الآتي:

أولاً: القرآن الكريم: أمر الله تعالى في كتابه العزيز المؤمنين بإصلاح ذات بينهم بصورة دائمة، في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ولا شك أن الله تعالى لا يأمر عباده إلا بما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم ومن ذلك:

الدليل الأول: قوله تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (الأنفال: ١) . فالمعنى: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ)) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه((وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)) أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتواد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل – بسبب التقاطع – من التخاصم، والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه . بذلك . يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر.(١٣٥)

–فدلت الآية على الحث على إصلاح ذات البين، فالله أمر بإصلاح ذات البين، وحث على المؤمنين أن يفعلوه، والأمر يقتضي الوجوب، قال ابن عباس: "هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم" (١٣٦) . ومعنى تحريج من الله على المؤمنين: أي تضييق عليهم، أي لا مساغ لهم سوى التقوى والإصلاح ولابد لهم منها.

– بل أكد الله الأمر بإصلاح ذات البين بأن جعله من لوازم الإيمان وموجباته، بقوله تعالى بعد ذلك: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) قال الزمخشري: ((جعل التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، من لوازم الإيمان وموجباته، ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها)).(١٣٧)

– فدلت الآية على أنه لا يكتمل إيمان المؤمن إلا بهذه الأمور الثلاثة. قال الشوكاني: ((أي: امتثلوا هذه الأوامر الثلاثة إن كنتم مؤمنين بالله، وفيه من التهييج والإلهاب ما لا يخفى، مع كونهم في تلك الحال على الإيمان، فكأنه قال: إن كنتم مستمرين على الإيمان بالله؛ لأن هذه الأمور الثلاثة التي هي: تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول، لا يكمل الإيمان بدونها، بل لا يثبت أصلاً لمن لم يمتثلها، فإن من ليس بمتق وليس بمطيع لله ورسوله ليس بمؤمن))(١٣٨).

الدليل الثاني: أمر الله المؤمنين أن يصلحوا بين أخويهم عند الاختلاف في سورة الحجرات في ثلاثة مواضع: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (الحجرات: ٩–١٠).دلت هذه الآيات على وجوب الإصلاح بين المسلمين عند التنازع: حيث أمر الله عز وجل بالإصلاح في قوله: ((فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)) وقوله: ((فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)) ، فقوله: (فَأَصْلِحُوا) : يدل على وجوب الإصلاح عند التنازع بين المسلمين. (١٣٩)

ومعنى الآيتين: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، ((فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ))يقول: فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها ((بالعدل)) : يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه.(١٤٠).

قال الرازي: معنى قوله ((إلى أمر الله)) ، أي إلى الصلح فإنه مأمور به، يدل عليه قوله تعالى: ((وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ))[١٤١] ، أما قوله تعالى: ((إِنَّمَا المؤمنون إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)) فقد دل على وجوب الصلح بين المسلمين سواء كانوا جماعة أو أفرادا، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى؛ لتضاعف الفتنة والفساد فيه.[١٤٢]

-كما دل على أنه يجب الإصلاح بين الناس وإن لم تكن الفتنة عامة، وإن لم يكن الأمر عظيمًا كالقتال، بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف، فاسعوا في الإصلاح بينهم. قال الرازي في قوله تعالى: ((إِنَّمَا المؤمنون إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)) –في الآية- تتميمًا للإرشاد، وذلك لأنه لما قال: ((وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا)) (الحجرات: ٩) كان لظانٍّ أن يظنَّ، أو لمتوهم أن يتوهم، أن ذلك عند اختلاف قوم، فأما إذا كان الاقتتال بين اثنين فلا تعم المفسدة، فلا يؤمر بالإصلاح، وكذلك الأمر بالإصلاح هناك عند الاقتتال، وأما إذا كان دون الاقتتال كالتشاتم والتسافه فلا يجب الإصلاح فقال: ((بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)) وإن لم تكن الفتنة عامة، وإن لم يكن الأمر عظيمًا، كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف، فاسعوا في الإصلاح.[١٤٣]

الدليل الثالث: قوله تَعَالَى: ((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)) (النساء: ١٢٨- ١٢٩). فدلت الآية على الحث على الإصلاح، والتأكيد عليه بعدة مؤكدات، بقوله تعالى: ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا)) حيث نفى الإثم عن الزوجين فيما تصالحا عليه، ولو كان في الصلح ترك، أو إسقاط بعض الحقوق الواجبة، مع أن الأصل لزوم الحقوق الواجبة، ومثل هذا الصلح جائز بالإجماع[١٤٤]، فقال تعالى: ((وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)) والمعنى: أن الصلح بين مَنْ بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه؛ لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح ...ونبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان-مع ذلك- قد أمر الله به، وحثّ عليه، ازداد المؤمن طلبًا له ورغبة فيه. [١٤٥] كما أكده بقوله تعالى: ((صلحا)) ، فكلمة ((صلحا)) مصدر مؤكد، يؤكد الصلح، ويحث عليه، ويرغب فيه[١٤٦].

وزيادة في التأكيد بيَّن سبحانه وتعالى بأنَّ الصلح خير، وأطلق ذلك الخير، قال تعالى: ((والصلح خير)) لفظ عام مطلق يقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق.[١٤٧]

فدلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكد في قوله: ((صلحا)) ، والإظهار في مقام الإضمار في قوله: ((والصلح خير)) ، والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة فإنها تدل على فعل سجية.[١٤٨]

الدليل الرابع: ((لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ))[النساء:١١٤].

فدلت الآية الكريمة على أهمية إصلاح ذات البين، وفضله، والحث عليه، حيث يخبر الله في هذه الآية الكريمة أنه لا خير في كثير مما يتناجى [١٤٩] به الناس، إلا إذا كان ذلك التناجي أمرًا بصدقة، أو بالمعروف، أو بالإصلاح بين المتخاصمين والمتنازعين. قال ابن رجب: «فنفى الخير عن كثيرٍ ممّا يتناجى الناسُ به إلاَّ في الأمر بالمعروف، وخص من أفراده الصدقة، والإصلاح بين النَّاس؛ لعموم نفعهما، فدل ذلك على أن التَّناجي بذلك خيرٌ» [١٥٠].

وتخصيص الإصلاح بين الناس بالذكر مع إنه داخل في عموم المعروف المذكور قبله في الآية، هذا يدل على فضله وأهميته. قال ابن عطية: «والمعروف لفظ يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خُصَّا بالذكر اهتمامًا بهما، إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد» [١٥١].ولما كان إصلاح ذات البين أمرًا جليلاً، نبه على عظمه بتخصيصه بقوله: ((أوإصلاح بين الناس)).[١٥٢]

ولعظيم أمر الإصلاح بين الناس أبيح للمصلحين ما حُرِّم على غيرهم؛ فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا إذا كان غرض المناجي لأحدهما الإصلاح بينهما، وقد ذم الله تعالى كثيرا من التناجي إلا ما كان للإصلاح {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء:١١٤]. وفي الآية الأخرى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المجادلة:٩] ومن أعظم التناجي بالبر والتقوى ما كان للإصلاح بين مسلمين قد فسد ما بينهما.

ثانيًا: السنة النبوية: وكما دلت الآيات القرآنية على وجوب إصلاح ذات البين، فقد حثت السنة النبوية على إصلاح ذات البين، بل قام به النبي -ﷺ- بنفسه، وحث عليه بقوله في سنته، كما سنبينه على النحو الآتي:

١- النبي ﷺ يحثُّ ويرغب على إصلاح ذات البين:

لقد دلت كثير من أحاديث الرسول ﷺ على الحث والترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب إفساد ذات البين، منها:

أ-ما رواه أبو الدرداء - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة)) . وفي رواية: ((هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)) [١٥٣] ففي الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه[١٥٤].

وابتدأ النبي ﷺ الحديث بأداة التنبيه: (ألا) ، وهو يقتضي أهمية المنبه عليه وهو هنا: الإصلاح، وأخبر أنه أفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة [١٥٥].

ب-وعن يحيى بن سعيد أنه قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ((ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة؟ قالوا بلى، قال: إصلاح ذات البين، وإياكم والبغضة، فإنها هي الحالقة)). [١٥٦]قال السعدي: "والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة"[١٥٧] وفضل الصلح على الصلاة

والصدقة من حيث عموم النفع وتعديه، ولما يحصل به من اجتماع الكلمة، وسكون الفتنة، قال المناوي: "وفي الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه.[١٥٨]

ج- وعن أبي هريرة ﷺ، عن سول الله ﷺ قال: ((ما عمل ابن آدم شيئا أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن))[١٥٩]. فالحديث يدل على فضل الإصلاح، حيث أخبر الصادق المصدوق ﷺ أنه ما عمل ابن آدم عملاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن يتخلق به المسلم، فقد جعل إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال التي يعملها ابن آدم، وهذا لاشك يدل على فضله وأهميته.

د- اصلاح ذات البين من الأعمال التي يحبها الله ورسوله ويرضى عنها الله ورسوله، بل هي تجارة رابحة يجني المصلح من وراء ذلك الأجر العظيم من الله، وتقي الإنسان من النار، عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: ((ألا أدلك على تجارة؟)) ، قال: بلى، قال: ((صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا))[١٦٠]. وعن أبي أمامة بلفظ: ((ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟)) قال: بلى، قال: ((صل بين الناس إذا تفاسدوا. . .)) [١٦١] وعن أبي أيوب، قال: قال لي رسول اللهﷺ: ((يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا)) [١٦٢]. وهذا يدل على فضل الإصلاح وأهميته، ومحبة الشارع له، والمسلم يحرص على ما يحبه الله ورسوله ويرضاه، ويسعى لتحصيله، ويبادر إلي العمل به.

فإصلاح ذات البين من أعمال البر العظيمة التي تقي الإنسان من النار: قال الأوزاعي: ((ما خطوة أحب إلى الله من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار)).[١٦٣]

د- ومما يدل على وجوب الصلح بين الناس قيام النبي ﷺ بنفسه في الصلح والإصلاح بين الناس، حتى يقتدي به الخلق في حياتهم، وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه: بَاب مَا جَاءَ فِي الْإِصْلاحِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا. وخروج الإمام إلى المواضع ليصلح بين الناس بأصحابه، وأورد في ذلك أحاديث عدة منها: حديث سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:((بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّ بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ بِقُبَاءٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ فَخَرَجَ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ)). [١٦٤] وفي رواية أخرى في البخاري قَالَ: (كَانَ قِتَالٌ بَيْنَ بَنِي عَمْرٍو فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَتَاهُمْ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ)).[١٦٥]وفي رواية قال: ((أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ)) [١٦٦] فمبادرة النبي -ﷺ- للصلح بينهم بمجرد سماع خبر النزاع، وعدم انتظارهم حتى يأتوا إليه ليصلح بينهم، أو يفصل بينهم بالحكم، وحث أصحابه على المشاركة معه، كل ذلك يدل على وجوب مبادرة المسلمين للصلح بين المتخاصمين ، وأنه من الأمور التي ينبغي أن يعتني بها الإمام.

ثالثًا: أنواع الصلح: ينقسم الصلح إلى قسمين أو نوعين:

النوع الأول: الصلح الجائز بين المسلمين، وهو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه، ورضى الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد على العلم والعدل، فيكون المصلح عالما بالوقائع، عارفًا بالواجب، قاصدًا للعدل، فدرجة هذا المصلح أفضل من درجة الصائم القائم.(١٦٧) قال تعالى: ((فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الحجرات: ٩) ، فقد أمر الله أن يكون الصلح بالعدل لا بالجور، وأمر بالقسط في ذلك، وأخبر عن محبته للمقسطين العادلين في أحكامهم.

النوع الثاني: الصلح غير الجائز، وهو الذي يحل الحرام ويحرم الحلال، كالصلح الذي يتضمن تحريم بضع حلال، أو إحلال بضع حرام، أو إرقاق حُرٍّ، أو نقل نسب أو ولاء عن محلٍّ إلى محلٍّ، أو أكل ربا، أو إسقاط واجب، أو تعطيل حَدٍّ، أو ظلم ثالث وما أشبه ذلك، فكل هذا صلح غير جائز مردود. (١٦٨).

ويدل على تحريم هذا الصلح حديث الرسول الله ﷺ قال: ((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)) (١٦٩). فيجب على من سعى بالصلح بين المسلمين أن يحرص على أن يكون صلحه بالعدل وأن يحذر من الجَوْر، والظلم في الصلح، ومن تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فلا يراعي أحدًا لجاهه أو ماله أو مكانته على حساب خصمه، حتى ينال الأجر العظيم الذي أعدَّه الشارع على الإصلاح.

أنواع الصلح الجائز: والصلح الجائز المشروع قسَّمه العلماء إلى خمسة أنواع:

النوع الأول: الصلح بين المسلمين وأهل الحرب، كما في صلح الحديبية بين النبي- ﷺ- وأصحابه وبين كفار قريش (١٧٠).

النوع الثاني: صلح بين أهل العدل وأهل البغي من المسلمين، ويدل عليه قوله تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)) (الحجرات: ٩)

النوع الثالث: صلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، ويدل عليه قوله تعالى: ((وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)) (النساء: ٣٥)

النوع الرابع: إصلاح بين متخاصمين في غير المال، كإصلاح النبي ﷺ بين أناس من بني عمرو بن عوف في خصومة كانت بينهم (١٧١).

النوع الخامس: إصلاح بين متخاصمين في الأموال، كإصلاح الرسول -صلى الله وعليه وسلم- بين المتخاصمين في الدَّين بأن يضع أحدهما نصفه، ويوفيه الآخر حقه (١٧٢).(١٧٣)

المبحث الخامس

فوائد وثمار إصلاح ذات البين

إن لإصلاح ذات البين له فوائد وثمار كثيرة، فإنه يثمر إحلال الألفة مكان الفرقة، ويستأصل داء النزاع قبل أن يستفحل، ويحقن الدماء التي تراق، ويوفر الأموال التي تنفق للمحامين بالحق وبالباطل، ويقي من الوقوع في

شهادة الزور، ويجنب المشاجرات والاعتداءات على الحقوق والنفوس. يقول المناوي: ((وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية، من التعاون والتناصر، والألفة والاجتماع على الخير–حتى أبيح فيه الكذب– وكثرة ما يندفع من المضرة في الدنيا والدين من تشتت القلوب، ووهن الأديان من العداوات، وتسليط الأعداء وشماتة الحساد، فلذلك صارت أفضل الصدقات)).(١٧٤)

لذا فإن للصلح فوائد وآثار كثيرة، بعضها في الدنيا وبعضها في الآخرة، وبعضها يعود على الفرد، وبعضها يعود على المجتمع، وهي الثمرة التي يقصدها المصلح من عمله، نبينها على النحو الآتي:

١–سلامة القلب: فمن أعظم فوائد وآثار الصلح سلامة قلب المؤمن من آفات الحقد والغل والحسد والبغضاء، وغيرها من الصفات التي ذمها الله ونهى عباده عنها، لما لها من ضرر عليه في دينه ودنياه، فالصلح هو العلاج الشافي لما يدخل في القلوب من الخصومة، والعداوة، والشحناء، ولما يعانيه الفرد من أمراض في قلبه وفكره وجسده، بسبب استمرار الخصومة والمنازعة، إذ به تعالج العداءات وتستمر الصلات والعلاقات. ومن سلّم الله قلبه من الحسد والغل على الآخرين فقد أُعطي خيرًا عظيمًا، ومن أعظم الأحاديث في ذلك حديث أنس بن مالك – ﷺ – أنَّه قال:كنَّا جلوسًا مع رسول الله – ﷺ – فقال: ((يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنَّة)) فطلع رجل من الأنصار تنطف(١٧٥) لحيته من وضوءه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – مثل ذلك، فطلع ذلك الرجلُ مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النَّبيُّ – ﷺ – مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النَّبيُّ – ﷺ –، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيتُ (١٧٦)أبي، فأقسمتُ أنْ لا أدخلَ عليه ثلاثًا، فإنْ رأيتَ أنْ تؤويني إليك حتى تمضي، فعلت. قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنَّه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يَرَهُ يقوم من الليل شيئًا، غير أنَّه إذا تعارّ (١٧٧)من الليل، وتقلّبَ على فراشه ذكر الله – عز وجل –، وكبّر، حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضتِ الثلاث ليالٍ، وكدتُ أنْ أحقر عمله، قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر ثَمَّ، ولكني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول لك ثلاث مرات ((يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنَّة)) فطلعتَ أنت الثلاث مرارٍ، فأردتُ أنْ آوي إليك، لأنظرَ ما عملك، فأقتدي به، فلم أرَكَ تعملُ كثيرَ عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قالَ رسول الله – ﷺ – فقال: ما هو إلا ما رأيتَ. قال: فلما ولّيتُ دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغتْ بكَ، وهي التي لا نطيق.(١٧٨)

٢– تحقيق المحبة والألفة: ومن فوائد وثمار إصلاح ذات البين أنه يؤدي إلى محبة الخالق للمصلحين، ومحبة الخلق لبعضهم البعض، فمثالا: إذا عفا أولياء الدم عن الجاني فإنهم ينالون بذلك من أهل الجاني وعشيرته من الشكر والثناء والمحبة ما لا يتحقق لو نفَّذ القصاص عليه، بل ربما يكون ذلك سببًا لنيل محبة المجتمع بأسره، وإذا عفا العبد فإنه ينال محبة الخالق، لأن الله عَفُوٌ يُحب العفو، قال تعالى: ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))(آل عمران: ١٣٤)((وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي

الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (النور: ٢٢) فهذه محبة الخالق، وتلك محبة الخلق وهي ثمرة العفو والصلح.

٣- ومن فوائد وثمار الصلح أنه يربي المسلم على القيم التي يحبها الله ورسوله: فهو يربي المسلم على الاعتدال والتسامح والعفو، والمحبة والوحدة والاجتماع، وصرف عقله نحو ما ينفعه في الدنيا والآخرة، بدل من صرفه في العداءات والخصومات، فيتربى على لغة التفاهم والحوار، والوصول للحق بدون تقاطع وتدابر، فإن الله يحب العفو والصفح، والتجاوز عن هفوات الخلق وأخطائهم، ويحب من عباده التوجه لما ينفعهم في الدنيا والآخرة، والبعد عن ما يضرهم في الدارين.

٤- رد كيد الشيطان ومصايده: قد بين الله في كتابه العزيز بأنَّ الشيطان للإنسان عدو مبين، يسعى دائمًا في إفساد أحوال العباد وإضلالهم، بل قد أضل منهم جبلاً كثيرًا، فهو يأمرهم بالسوء والفحشاء والمنكر، ويعمل بما يفرق جمعهم ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، قال تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) (المائدة: ٩١) قال القرطبي: " أعلم الله تعالى عباده أن الشيطان إنما يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بيننا بسبب الخمر وغيرها فحذرنا منها ونهانا عنها"[١٧٩]، وقال الجصاص: " فأخبر الله تعالى أنه إنما نهى عن هذه الأمور لنفي الاختلاف والعداوة، ولما في ارتكابها من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة"[١٨٠] فالشيطان يسبب العداوة والبغضاء بين عباد الله، والصلح أعظم ما تقطع به العداوات ويدرأ به كيد الشيطان، ومصايده.

٥- رد الحقوق المسلوبة: ومن فوائد وآثار الصلح رد الحقوق من مال أو أرض ونحوهما لأصحابها، بأقل جهد وتكلفة، ممّا إذا كان سيطلب حقه عن طريق القضاء، والذي قد يستغرق وقتًا، ويكلف مالاً، ولا يزيل ما في القلوب من شحناء، فضلاً من أن الحق قد ينقص أو يضيع بسبب من الأسباب؛ ولهذا كان الصلح مدعاة لتوفر الجهود والطاقات، وحفظ الحقوق وردها بصورة عاجلة محوطة بالتسامح والرضا بين الأطراف.

٦- رفع العمل الصالح: ومن فوائد الصلح رفع العمل الصالح الذي يحجبه التقاطع والشحناء، ففي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا))[١٨١]

٧-نيل الأجر العظيم: ومن فوائد الصلح نيل الأجر العظيم الذي وعد الله به، سواء كان ذلك للمصلح، أو للمتصالحين فيما بينهم، خاصة لمن عفا وأصلح، قال تعالى: ((لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) (النساء: ١١٤) وقوله تعالى: ((وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (الشورى: ٤٠)

٩- نيل رحمة الله: قال تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (الحجرات: ١٠) فقد دلت الآية على أن الإصلاح بين الناس من أسباب نيل العبد رحمة الله تعالى، قال

السعدي: ((ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة)) [١٨٢] فرحمة الله قريبة من المجتمعين المتحابين، بعيدة من المتفرقين المتنازعين.

١٠- ومن أعظم فوائد وآثار الصلح نشر الإسلام: فالصلح يفتح القلوب المغلقة، ويكسب النفوس المعرضة، ويقرب الأرواح المتباعدة، ولذا سمى الله العهد الذي تم في الحديبية فتحًا، لما تحقق من ورائه من خير كثير للإسلام والمسلمين، وذلك بعد أن اجتمع الكفار بالمؤمنين وسمعوا منهم وعرفوا شيمهم، فكان ذلك سببًا لإيمانهم، قال الزهري: ((لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام))[١٨٣] ولذا فإن التصالح مع الدول الكافرة وبناء علاقة معها يسهم في نشر الإسلام، وذلك لما يتحقق من خلاله من إتاحة الفرصة للدعوة وبناء المساجد وذلك من أعظم فوائد وآثار الصلح.

١١- الحفاظ على وحدة الجماعة وقوتها: ومن فوائد الصلح أنه من أعظم دعائم الوحدة والاستقرار، لما له من أثر في إصلاح القلوب وصفائها، وجمع الأسر والتحابّ فيما بينها، وحفظ المجتمعات من النزاعات والحروب، وفتح التعاون بين المؤمنين دون حدود. فبالصلح تحفظ قوة الجماعة، وبالاختلاف يضعف قوتها ويذهب ريحها ويعفى أثرها من الوجود، ولا شك أن الحفاظ على وحدة الجماعة المسلمة وقوتها هو من الحفاظ على الإسلام الذي ينبغي للأمة أن تعتني به على الدوام. قال الألوسي: والمراد من الإصلاح بين الناس: ((التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف)) [١٨٤].

١٢-درء الفتنة وحقن الدماء: ومن فوائد الصلح درء الفتن، ومنع انتشار الفساد، وحقن دماء أبناء المجتمع التي تراق نتيجة للنزاعات وتنكبُّ طريق الصلح ونهج الحوار، وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة ﵂ أنها كانت تقول: " ترك الناس العمل بهذه الآية تعنى قوله تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الحجرات: ٩) فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية.[١٨٥] فإن فتنة التنازع والاختلاف والاقتتال لا تُرفع من بين أبناء الأمة، ولا يقل ضررها وشرها على الناس، إلا من خلال إحياء شعيرة الإصلاح بين الناس.

١٣- من فوائد الصلح الحفاظ على الأسرة المسلمة من التفكك والضياع، ففي الإصلاح بين الزوجين تحقيق للاستقرار الأسري، وتوفير البيئة الصالحة لأبناء المجتمع المسلم، بما يحظون به من رعاية أبوية متكاملة، فكم من بيوت أظلمت، وأرحام قطعت، وأطفال شردوا، و أحوال ساءت، و مصالح تعطلت بسبب ما يحدث بين الزوجين من خلاف، ولا يوجد من يوفق بينهما بالصلح.

١٤- ومن فوئد إصلاح ذات البين، الحفاظ على المودة والألفة بين المسلمين، ونبذ التفرقة واستئصال أسبابها المؤدية إليها. ثبت في السنة أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: ((لا تقاطعوا ولا تدابروا[١٨٦] ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا إخوانا كما أمركم الله)).[١٨٧] وقال أيضًا: ((ويحكم أو قال ويلكم، لا ترجعوا بعدي كفارًا

يضرب بعضكم رقاب بعض))[١٨٨] فإصلاح ذات البين يثمر إحلال الألفة مكان الفرقة، واستئصال داء النزاع قبل أن يستفحل، وحقن الدماء التي تراق، وتجنب المشاجرات والاعتداءات على الحقوق والنفوس.

المبحث السادس

الأحكام المتعلقة بمعالجة وإصلاح فساد ذات البين

يترتب على الإصلاح بين الناس بعض الأحكام الشرعية التي شرعها الإسلام لتيسير أمر الإصلاح بين الناس، ومن هذه الأحكام الآتي:

١- حكم قتال الفئة الباغية الرافضة للصلح: قال تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الحجرات: ٩) فقوله تعالى: ((فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ))، هذا أمر منه سبحانه وتعالى لقتال الفئة الباغية، وهو يقتضي الوجوب، والقتال هنا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وذلك لأنه لو تُرك أهل البغي لسعوا في الأرض فسادًا، ولأفسدوا على الناس أمور دينهم ودنياهم فوجب قتالهم دفعًا للفساد على وجه الأرض ومنعا لشرهم.

واستدل العلماء بهذه الآية أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعليهم أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى الصلاح والحق، وقوله تعالى: ((فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)) يعني إن رجعت إحداهما إلى الحق وأرادت الصَّلاح، وأدامت الأخرى على بغيها وامتنعت ولم تقبل الصلح، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، وتعود للجماعة وإمامها.

ولكن ينبغي أن يعلم أن الله تبارك وتعالى قدَّم الأمر بالصلح قبل الأمر بالقتال، فقال سبحانه : ((فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا))، فإن أبوا الصلح ولم ترجع الفئة الباغية عما تعتقد من فساد الرأي والدين قوتلوا، وعليه فلا يجوز قتالهم حتى يبعث إليهم من يدعوهم، وليزيل اللبس الذي حط على عقولهم، وليكشف لهم الصواب، وليقابل الحجة بالحجة، فإن أبوا الرجوع عن القتال وعظهم وخوَّفهم، وهذا هو فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ﷺ- حيث ندب ابن عباس ﷺ إلى أهل حروراء قبل البدء بقتالهم، فلم يزل بهم حتى رجع منهم أربعة آلاف، وكانوا ثمانية آلاف رجل؛ وذلك لأن الغرض والهدف الذي من أجله شرع قتال البغاة هو دفع شرهم، فإن كان ذلك المقصود يتحصل بالكلمة فلا ينبغي أبدًا أن يبدأ بالسيف؛ لأن المقصود كما قلنا دفع شرهم لا قتلهم، ولما في القتال من مضرة عظيمة بالفريقين وبالأمة الإسلامية، حيث يصيبها الضعف ويؤدي ذلك إلى طمع العدو فيهم.

وهذا هو مقتضى العدل الذي أمر الله به، وهو ما فَعَله علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- بدأ بدعاء الفئة الباغية إلى الحق، واحتج عليهم فلما أبوا القبول قاتلهم، ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد

أمر بالكفر -تعالى الله عن ذلك- وقد قاتل الصديق -ﷺ- من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة، وأمر ألا يتبع مولٍّ، ولا يجهز على جريح، ولم تحل أموالهم بخلاف الواجب في الكفار. (١٨٩)

قال ابن العربي:(١٩٠) هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعُمْدَة في حَرب المتأولين، وعليها عَوَّلَ الصحابةُ، وإليها لجأَ الأعيان من أهل الملّة، وإياها عَنَى النبي -ﷺ- بقوله: ((تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ)).(١٩١) قال الألوسي: فمتى تحقق البغي من طائفة كان حكم إعانة المبغي عليه حكم الجهاد. . . وصرح الحنابلة بأن قتال الباغين أفضل من الجهاد، احتجاجًا بأن عليًا-ﷺ- اشتغل في زمان خلافته بقتالهم دون الجهاد، والحق أن ذلك ليس على إطلاقه بل إذا خشي من ترك قتالهم مفسدة عظيمة دفعها أعظم من مصلحة الجهاد.(١٩٢) بحيث يؤدي إلى مفاسد عظيمة في الأمة، وهذا يؤكد مواجهة المشكلات والسعي في حلِّها، وعدم التغافل وغضِّ الطَّرف عنها، حتى تستفحل وتكبر فيصعب حلَّها. وقد جاء في قتال الفئة الباغية ما رواه الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال: قال علي: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة"(١٩٣)

ونستخلص مما سبق: أن قتال الفئة الباغية الرافضة للصلح لا خلاف بين المسلمين على جوازه، بل ويندب، ويتقرر وجوبه إذا كان لا يندفع شرهم إلا بالقتال .

٢-الترخيص في الكذب من أجل الصلح: من الأحكام الخاصة المتعلقة بالصلح التَّرخص في الكذب من أجل الصلح، مع أن الكذب مُحَرَّمٌ باتفاق العلماء، إلا أن الشرع أباح الكذب بغرض الإصلاح بين المتخاصمين، وذلك لأن الساعي في الصلح يسعى في الخير والإصلاح لا في الشر والفساد، ولأن المصلح يريد أن تكون أحوال العباد مؤتلفة ومتفقة، وهذا من أعظم ما يحبه الله، فهو كذب لا يسقط به حق، ولا يثبت به باطل، ولذا فقد جاء في الحديث كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أنها سمعت رسول الله -ﷺ- وهو يقول « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمى خيرا ». قال ابن شهاب ولم أسمع يرخص فى شىء مما يقول الناس كذب إلا فى ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.(١٩٤) قال الخطابي: «الكذب في الإصلاح بين اثنين: هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيرًا، ويبلغه جميلاً، وإن لم يكن سمعه منه، يريد بذلك الإصلاح»(١٩٥) وقد اختلف العلماء في حكم الكذب في الصلح على قولين:

القول الأول: ذهبت طائفة من العلماء إلى جواز الكذب على إطلاقه ما دام في مصلحة، وقالوا إن الكذب المذموم هو ما فيه مضرة، واحتجوا بحديث أبي هريرة عن النبي -ﷺ-: أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب قط إلا ثلاثًا. (١٩٦) وقول منادي يوسف: ((فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ))(يوسف: ٧٠) قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو.(١٩٧)

القول الثاني: وذهبت طائفة أخرى إلى عدم جواز الكذب مطلقًا، وقالوا: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، وما جاء من الإباحة في هذا، المراد به التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب، مثل: أن يَعِدَ زوجته أن يُحسن إليها ويكسوها كذا، وينوي إن قدر الله ذلك، وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلامًا جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك وَوَرَّى، وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غدا يأتينا مدد أي طعام ونحوه، هذا من المعاريض المباحة، فكل هذا جائز، وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف وما جاء من هذا على المعاريض.

وأما كذبه لزوجته وكذبها له فالمراد به في إظهار الودِّ والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها، فهو حرام بإجماع المسلمين .[١٩٨]

قال ابن حجر: ((نقل الخلاف في جواز الكذب مطلقا أو تقييده بالتلويح ...ويقويه ما جاء في حديث أنس في قصة الحجَّاج بن عِلاط في استئذانه النبي- ﷺ -أن يقول عنه ما شاء لمصلحته في استخلاص ماله من أهل مكة، وأذن له النبي ﷺ [١٩٩] وإخباره لأهل مكة أن أهل خيبر هزموا المسلمين وغير ذلك مما هو مشهور فيه)).[٢٠٠]

وخلاصة القول: أن الذي يدل عليه ظاهر النص هو جواز الكذب في الصلح لما يترتب عليه من مصلحة راجحة، قال النووي: والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصار على التعريض أفضل.[٢٠١]

٣- تأخير الصلاة عن أول وقتها وجمعها بسبب الصلح: أكد القرآن الكريم على المحافظة على الصلاة في وقتها وعدم تأخيرها، قال تعالى: ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)) (البقرة: ٢٣٨) ، وقد جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قَالَ: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا))[٢٠٢] وقد أجاز الشرع تأخير الصلاة عن أول الوقت إلى آخره؛ إذا اقترن بذلك كمال أو مصلحة راجحة من ذلك، كالإبراد بالظهر في شدة الحرّ، وإنقاذ الغريق، وإكمال اتفاق الصلح الذي قد يضر القطع بإكماله، ولو أدَّى ذلك للتأخر عن صلاة الجماعة، كما جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج رسول الله يصلح بينهم في أناس معه، فحبس رسول الله، وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر -رضي الله عنه- فقال: يا أبا بكر إن رسول الله قد حبس، وقد حانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال: نعم إن شئت. فأقام بلال، وتقدم أبو بكر -رضي الله عنه- فكبر للناس، وجاء رسول الله يمشي في الصفوف حتى قام في الصف. . .) "[٢٠٣]وقال النووي: "وفيه احتمال تأخير الصلاة عن أول وقتها وترك فضيلة أول الوقت لمصلحة راجحة " [٢٠٤]

وأما جمع الصلاة من أجل الصلح فهو جائز إذا دعا الأمر لذلك، ويدل عليه ما جاء في عن ابن عباس قال: ((جمع رسول الله بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر، في حديث وكيع قال قلت: لابن عباس لم فعل ذلك قال كي لا يحرج أمته))[٢٠٥]وفي رواية قال: ((صلى رسول الله الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا في غير خوف ولا سفرٍ)).[٢٠٦]

فهذه الأدلة تبين أن جمع رسول الله للصلاة كان في الحضر، وكان من باب التوسعة على أمته، ومن هنا فقد جوز العلماء الجمع بين الصلوات لعذر، قال ابن تيمية: يجوز الجمع بين الصلاتين لعذر عند أكثر العلماء، كما جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر بعرفة، وبين المغرب والعشاء بمزدلفة، والجمع في هذين الموضعين ثابت بالسنة المتواترة، واتفاق العلماء ، فلهذا كان مذهب الإمام أحمد وغيره من العلماء كطائفة من أصحاب مالك وغيره، أنه يجوز الجمع بين الصلاتين إذا كان عليه حرج في التفريق، فيجمع بينهما المريض وهو مذهب مالك، وطائفة من أصحاب الشافعي، ويجوز الجمع بين المغرب والعشاء في المطر عند الجمهور كمالك والشافعي وأحمد، وقال أحمد: يجمع إذا كان له شغل، وقال القاضي أبو يعلى: إذا كان له عذر يبيح له ترك الجمعة والجماعة جاز الجمع، فمذهب فقهاء الحجاز وفقهاء الحديث كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وابن المنذر وغيرهم: يجوز الجمع بين الصلاتين في الجملة، ولا يجوز التفويت بأن يُؤخِر صلاة النهار إلى الليل، وصلاة الليل إلى النهار.(٢٠٧)

وقد جمع عبد الله بن عباس الصلاة بالبَصْرَة لمصلحة اجتماع الناس وخشيته أن يتفرقوا قبل سماع الحق الذي يريد بيانه، وهي مصلحة معتبرة شرعًا في أجواء تلك الفتنة، عن عبد الله بن شقيق قال: خطبنا ابن عباس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة. قال: فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاة. فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة لا أم لك. ثم قال: رأيت رسول الله جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال عبد الله بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة فسألته فصَدَّق مقالته.(٢٠٨)

أما جمع الصلاة بلا حاجة ولا عذر فلا يجوز، ولا يجوز أن يتخذ ذلك سنة وعادة؛ لأن ذلك يضاهي المشروع، قال النووي: ((وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة... ويؤيده ظاهر قول بن عباس أراد أن لا يحرج أمته فلم يعلله بمرض ولا غيره)).(٢٠٩)

وخلاصة القول أنه يجوز تأخير الصلاة عن أول وقتها وجمعها إذا ترتب على ذلك مصلحة يُخشى فواتها كالصلح وغيره .

٤- جواز دفع الزكاة للمصلح الغارم: ومن الأحكام التي شرعها الله من أجل الصلح جواز الدفع من الزكاة للغارمين من أجل تحقيق الصلح، وذلك لأن المال له دور كبير في استرضاء الأطراف وفضّ النزاعات، وعلاج الخلافات، وقد خصَّ الله الغارمين ببند في الزكاة يدفع لهم منه ولو كانوا أغنياء، ومنهم الغارمون لإصلاح ذات البين، قال تعالى: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))(التوبة: ٦٠) والغارمون قسمان: أحدهما: أدانوا لأنفسهم في غير معصية ثم أعسروا، فإنهم يعطون ما يوفى به دينهم؛ فإن كان عندهم وفاء فلا يعطون. والثاني: الغارم لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة فيتوسط الرجل للإصلاح

بينهم بما يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فإنهم يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيًا. (٢١٠)

ومما يدل على جواز دفع الزكاة للمصلح الغارم ما ورد في السنة، عن قبيصة بن مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فأتيت رسول الله ﷺ أَسْأله فِيهَا، فقال: ((أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها..)) (٢١١) والحَمَالة ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل أن يقع حرب بين فريقين تُسفك فيها الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين.(٢١٢)

وقد جوز الشرع للغارم لإصلاح ذات البين أن يُدفع له من الزكاة، وذلك تشجيعًا له على ما يقوم به من عمل عظيم حث عليه الشرع، لما تترتب عليه من مصالح عظيمة للأمة، قال البيهقي: ((وأباح رسول الله ﷺ لمن تحمَّل حَمَالة في إصلاح ذات بين أن يأخذ من الصدقات ما يستغني به على قضاء دينه؛ وإن لم يكن فقيرًا، وذلك راجع إلى الترغيب في الإصلاح، وتخفيف الأمر على القائمين به؛ ليكون تخفيفه عليهم مبعثا له على الدخول فيه)).(٢١٣) قال عمر بن عبد العزيز: ((ما طاوعني الناس على شيء أردته من الحقِّ حتى بسطت لهم طرفًا من الدنيًا))(٢١٤) وقال الحكماء: ((الدراهم مراهم، لأنها تداوي كل جرح، ويطيّب بها كلُّ صُلح))(٢١٥).

بل أجاز العلماء دفع المال للعدو في الصلح إذا لزم الأمر، قال القرطبي: ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو؛ لمصالحة النبيﷺ عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري يوم الأحزاب، على أن يعطيهما ثلث ثمر المدينة، وينصرفا بمن معهما من غَطَفَان، ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم، وكانت هذه المقالة مراوضة، ولم تكن عقدا، فلما رأى رسول الله-ﷺ -منهما أنهما قد أنابا ورضيا، استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فقالا: يا رسول الله هذا أمر تحبه فنصنعه لك، أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع، أو أمر تصنعه لنا ؟ فقال: بل أمر أصنعه لكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة، إلا شراء أو قرى(ضيافة)، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟! والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فَسرَّ بذلك رسول الله وقال: (أنتم وذاك) ، وقال لعيينة والحارث: انصرفا فليس لكما عندنا إلا السيف.(٢١٦) ولم يمنع النبيﷺ من دفع المال لعدوه إلا عدم رغبة أصحابه، وعزمهم القوي في الثبات على مقاتلتهم.

٥- جواز السؤال(التسول) للمصلح الغارم: أباح الشرع لمن تحمَّل دَيْنًا من أجل الإصلاح بين الناس، أن يسأل الناس قدر حاجته(أي يتسول)، مع أن المسألة في الأصل حرام، ولم يبح الشرع السُّؤال إلا لثلاثة منهم المصلح بين الناس، كما دلَّ على ذلك حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: ((أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال: ثم قال: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من

ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا)). [٢١٧] وفي رواية : ((رجل تحمل بحمالة عن قومه أراد بها الإصلاح)) [٢١٨].

فقد دل هذا الحديث على إباحة السؤال لمن تحمل حَمَالة(دينا) من أجل الإصلاح بين الناس، على أن يسأل قَدْر حاجته، مع أن المسألة في الأصل حرام، كما دلَّت على ذلك النصوص الكثيرة، ومنها هذا الحديث، لكن لما كانت بسبب الإصلاح رُفع الإثم عن صاحبها، ويؤكد ذلك أقوال العلماء عند شرحهم لهذا الحديث.

خاتمة البحث

هذه خلاصة موجزة لأهم ما توصل إليه الباحث من نتائج من خلال هذا البحث نوجزها على النحو الآتي:

– فساد ذات البين هي ابتغاء الفتنة التي تؤدي إلى التسبب في المخاصمة، والمشاجرة بين اثنين، أو قبيلتين بحيث يحصل بينهما فرقة أو فساد، وبغضاء وشحناء.

– حرم الإسلام آفات فساد ذات البين لما يترتب عليها من مفاسد جليلة فهي تَحْلِقُ الدِّين وتهلكه، وتستأصله كما يستأصل الموس الشَّعر، وذلك لكثرة ما يترتب عليها من الفساد والضغائن، وكثرة ما تُسبّب من العداوات، وتشتيت القلوب، ووهن الأديان، وتسليط الأعداء، وشماتة الحُسَّاد، وهذا كلُّه يدلُّ دلالةً واضحةً على تحريم فساد ذات البين.

– لمشكلة فساد ذات البين عدة عوامل وأسباب منها: نزغات الشيطان، وضعف الإيمان، والجهل وضعف العلم، وسوء الظن، والتَّجسُّس وتتبع العورات، والتناجي بالإثم والعدوان، والهمز واللمز والتنابز، وشهادة الزور، والجدال والمراء، والسَّب وبذاءة اللسان، والسخرية والاستهزاء واحتقار الآخرين، وإظهار عيوب الآخرين، والإشاعة، والتساهل في اتباع أوامر الله ورسوله في ما يخص من ضوابط التعامل بين الناس، والغيبة والنميمة والحقد والحسد.

– لفساد ذات البين أضرار وآثار عظيمة، وعواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، فهو يؤدي إلى الاختلاف والتنازع، وضعف الأمة وذهاب قوتها، وتسلط عدوها عليها، ويكون دائمًا سببًا لقطع الأرحام، وتبديد الأموال، ومرض القلوب والأبدان، ورفع الرحمة، وذهاب البركة، وتضييع الأوقات فيما لا يعود على الفرد والجماعة والأمة بخير.

–إن الإسلام حرص على وحدة المسلمين، وأكد على أخوتهم، وأمر بكل ما فيه تأليف لقلوبهم، ونهى عن كل أسباب العداوة والبغضاء بينهم، كما حرص الإسلام على وضع علاج لمشكلة فساد ذات البين وسلك في ذلك مسلكين:

الأول: مسلك وقائي قبل وقوعه وهو تحريم فساد ذات البين، وكل العوامل والأسباب التي قد تؤدي إلى ذلك.

الثاني: أمره بالسعي لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، والحث والترغيب فيه، وجعل درجته أفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة.

– إصلاح ذات البين من الدعائم المهمة للحفاظ على المجتمع الإسلامي من التفكك والاختلاف، وبه يحصل الائتلاف والمحبة، وقطع النزاع والشحناء والفرقة والشقاق بين المتخاصمين، وعلى العقلاء السعي إليه، والنهوض في القيام به حسب الإمكان.

–الصلح من أعمال البر العظيمة التي أمر الله بها، وجعل خيريته مطلقة، ووعد القائمين به في الناس بالأجر العظيم.

–لإصلاح ذات البين أحكام خاصة، جوَّزها الشارع مع أنها في الأصل غير جائزة، ولكن لأهمية الإصلاح بين الناس وضرورته جوزها الشارع، وأبرزها: جواز قتال الفئة الرافضة للصلح ، وجواز الكذب لأجل الإصلاح بين الناس، وجواز تأخير الصلاة عن أول وقتها وجمعها، وجواز دفع الزكاة للمصلح الغارم، وجواز السؤال(التسول) للمصلح الغارم.

التوصيات

لقد توصلت من خلال هذا الباحث إلى أهم توصياته وهي على النحو الآتي :

١. يوصي الباحث الدولة والشخصيات الاجتماعية بتبني إنشاء جمعيات ومؤسسات خيرية متخصصة في إصلاح ذات البين، يكون فيها أهل العلم والخير والعقل، وتقوم بدورها الكبير في الحفاظ على المحبة والوئام بين الناس ، وإيجاد الحلول المناسبة بين أصحاب النزاعات الأسرية.

٢. إعداد برامج تقدم من خلال وسائل الإعلام، تُحَذّر من أضرار فساد ذات البين، وتُرغِّب في موضوع الصلح وإصلاح ذات البين .

٣. يوصي الباحث المجتمعات بإيجاد مصلحين منهم كل بحسبه، يسعون في الإصلاح بين المسلمين، ولم شملهم.

٤. يوصي الباحث أصحاب الأموال بدعم القائمين بإصلاح ذات البين ماليا ليسهموا في معالجة وحل المشاكل والقضايا بين مختلف الشرائح والجماعات في المناطق المختلفة.

الهوامش

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة يوم القيامة (٤ / ٦٦٣) ح رقم: (٢٥٠٨) وقال الألباني: حديث حسن، ح رقم:(٢٥٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان،(٤ / ٢١٦٦)ح رقم: (٢٨١٢) ومعنى التحريش : أي يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها.

(٣) انظر لسان العرب، لابن منظور (٣ / ٣٣٥) وتهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (٤ / ٢٦٦) والمعجم الوسيط،: إبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ٢٩٠).

(٤) انظر المصباح المنير ،الفيومي (١ / ٤٢٩) والتوقيف على مهمات التعاريف، مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي (١/ ١٥٤).

(٥) انظر لسان العرب، لابن منظور (١٥ / ٣٦٤ وتاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي (٨٦٩١/١).

(٦) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، (٤/٩).)

(٧) مجمع البيان افي تفسير القرآن ، الطبرسي،(٥١٨/٢)

(٨) تحفة الأحوذي، المباركفوري (١٧٨/٧-١٧٩).

(٩) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب مُحَمَّد شمس الحق (١٧٨/١٣).

(١٠) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/ ١٢١).

(١١) الأدب المفرد، البخاري (١٠٠/١) (٢٦٠) . قال الشيخ الألباني : حسن لغيره

(١٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مُحَمَّد بن عبد الباقي الزرقاني (٣٢١/٤).

(١٣) المراد بقوله: (الحالقة): أي الخَصْلة التي من شأنها أن تَحلِق: أي تُهْلِك وتَستأصِل الدِّين كما يَسْتَأصِل الموسَى الشعر، وقيل: هي قَطِيعة الرَّحم والتَّظالُم(النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير(٤٢٨/١).

(١٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٥ / ٥٠٠) ح(٢٧٥٠٨)، بتقديم الصلاة على الصيام، والأكثرون على تقديم الصيام على الصلاة، وأخرجه أبو داود في سننه (٤ / ٢٨٠) ح(٤٩١٩)، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٦٣) ح(٢٥٠٩)، وقال: هذا حديث صحيح، وصححه البزار كما في البحر الزخار، ح (٢١٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٧٠/٣) ح(٢٨١٤).

(١٥) قوله (دَبّ إليكم) أي سرى ومشى بخفية (الحسد) أي في الباطن (والبغضاء) أي العداوة في الظاهر، وسميا داء لأنهما داء القلب (وهي) أي البغضاء الحالقة (لا أقول تحلق الشعر) أي تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل (ولكن تحلق الدين) وضرره عظيم في الدنيا والآخرة. انظر (تحفة الأحوذي، المباركفوري (٦٩/٦).

(١٦) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة (٢٤٥/٤) ح رقم: (٢٥١٠) وسنده حسن كما في صحيح الترمذي للألباني (٣٠٧/٢) ح(٢٠٣٨).

(١٧) تحفة الأحوذي، المباركفوري (٦٩/٦).

(١٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٣ / ١٠٦) وشرح الزرقاني على الموطأ(٣٢١/٤).

(١٩) المنتقى شرح الموطأ، الباجي (٢٩١/٤).

(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، والآدب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ (١٠/٨) (٢٥٦٤).

(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه باب النهي عن التحاسد (٢٠٦/٢٠) ح رقم (٦٠٦٥).

(٢٢) التمهيد، لابن عبد البر (٦ / ١١٦).

(٢٣) انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي (٦١/٤)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب (٣٥).

(٢٤) سبق تخريجه ص١.

(٢٥)شرح النووي على مسلم (١٧ / ١٥٥).

(٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ (٤/ ٢١٦٦)ح رقم: (٢٨١٣).

(٢٧) ينظر شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٦).

(٢٨) الكشاف، للزمخشري (١٩٥/٢).

(٢٩) فتح القدير، الشوكاني (٣٠٠/٢).

(٣٠) انظر: تفسير القاسمي(٦/ ٢٩٨).

(٣١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية(٣٨/١٤).

(٣٢) التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي (١٣٤/١).

(٣٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحى، باب مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ(٤٤/١ ، ح رقم: (٨٥)

(٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ (١٨٥/٨) ح رقم: (٦٧٢٤) .

(٣٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، ص٤٢٤.

(٣٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب مُحَمَّد شمس الحق (١٧٧/١٣).

(٣٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٣١/١٦).

(٣٨) أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس (٤٢٣/٤) ح رقم: (٤٨٩٠) قال الألباني: الحديث صحيح (أنظر صحيح وضعيف سنن أبي داود – (١٠ / ٣٨٨) و التعليق الرغيب (٣ / ١٧٧)

(٣٩) شرح سنن أبي داود، العباد (٢٨ / ١٣٩).

(٤٠) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب باب فِي الْغِيبَةِ (٢ / ٦٨٦)ح رقم: (٤٨٨٠) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح . (أنظر صحيح وضعيف سنن أبي داود – (١٠ / ٤٨٨) وصحيح الترغيب والترهيب، ح رقم: (٢٣٤٠)

(٤٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤ /٣٧٨) ح رقم: (٢٠٣٢) قال الشيخ الألباني: الحدبث صحيح (انظر: صحيح الجامع ح رقم: (٧٩٨٥)

(٤٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب مُحَمَّد شمس الحق (١٠ / ٤٠٣).

(٤٤) ينظر: شرح سنن أبي داود، العباد (٢٨ / ١٢٢).

(٤٥) أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس (٤٢٣/٤) ح رقم: (٤٨٩٠) قال الألباني: الحديث صحيح (أنظر صحيح وضعيف سنن أبي داود – (١٠ / ٣٨٨) و التعليق الرغيب (٣ / ١٧٧)

(٤٦) شرح عمدة الاحكام، عبد الرحمن السحيم (١/ ٦٦).

(٤٧) شرح سنن أبي داود، العباد (٢٨ / ١٣٩).

(٤٨) معالم التنزيل، للبغوي (٩ / ٥٤٣).

(٤٩) البحر المديد، للإدريسي (٧ / ٣٤٨).

(٥٠) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨ / ٣١).

(٥١) روح المعاني، للألوسي (٩ / ٥٤٣).

(٥٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(٨ / ٤٤).

(٥٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تَحْرِيمِ مُنَاجَاةِ الِاثْنَيْنِ دُونَ الثَّالِثِ بِغَيْرِ رِضَاهُ، ح برقم (٢١٨٤) ورقم (٦٢٩٠).

(٥٤) فتح القدير، الشوكاني(٧ / ١٥).

(٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٢٥/٣) (٢٦٥٤).

(٥٦) شعب الإيمان، البيهقي (١١ / ١٧) ح رقم: (٨٠٧٧) .

(٥٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، والآدب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ (١٠/٨) (٢٥٦٤).

(٥٨) (فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ) : أَيْ نَوَاحِيهَا وَجَوَانِبِهَا مِنْ دَاخِلِهَا وَلَا مِنْ خَارِجِهَا (وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ) أَيْ الْجِدَالَ(وَهُوَ مُحِقٌّ)أَيْ صَادِقٌ وَمُتَكَلِّمٌ بِالْحَقِّ (اتحفة الأحوذي (١٠٩/٦).

(٥٩) المعجم الكبير، الطبري (٨ /٩٨) (٧٤٨٨) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٣ قال الألباني: (حسن لغيره).

(٦٠) إحياء علوم الدين، الغزالي، ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤ / ١٩٢) .

(٦١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ، ح رقم: (١٩٧٧) .وصححه الألباني : في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم(٣٢٠)

(٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ (١٩/١) (٤٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (٥٧/١) (٦٤) (١١٦)

(٦٣) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦ / ١٠٩).

(٦٤) فتح القدير، الشوكاني (٧ / ١٥).

(٦٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، والآدب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ (١٠/٨) (٢٥٦٤).

(٦٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٢٨/١٦).

(٦٧) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢٩٢/٢).

(٦٨) الإشاعة والحرب النفسية، عبدالرحمن مُحَمَّد العيسوي وآخرون (ص٤٥).

(٦٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (١٢٥/٨)رقم (٦٤٧٧).

(٧٠) تفسير القرطبي (٣ / ٣٨٦).

(٧١) أحكام القرآن، للجصاص – (٢ / ٢٩٤).

(٧٢) وهي كما عرّفها النبي – ﷺ: ((ذِكرُكَ أخاك بما يكرهُ))أخرجه مسلم في صحيحه باب تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ (٢١/٨)ح رقم: (٢٥٨٩) و(٧٠) .

(٧٣) تفسير القرطبي(١٦ / ٣٣٧).

(٧٤) تفسير ابن كثير: (٣٨٠/٧).

(٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ (٢٦/١) (٦٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب القسامة باب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالأَعْرَاضِ وَالأَمْوَالِ (١٠٨/٥) (١٦٧٩) و(٣٠) ..

(٧٦)والنميمة هي: نقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد. وحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. (احياء علوم الدين، للغزالي، (١٥٦/٣)

(٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّمِيمَةِ (٨/ ٢١)(٦٠٥٦) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ. (٧٠/١ (١٠٥)

(٧٨) شرح النووي على صحيح مسلم (١١٢/٢).

(٧٩) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٤٧٣/١٠).

(٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآداب، باب الغيبة(٦٥/١)(٢١٨)، ومسلم في صحيحه باب الدَّلِيلِ عَلَى نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبِ الاِسْتِبْرَاءِ مِنْهُ (١٦٥/١)(٢٩٢)

(٨١) العَضْهُ: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكي البعض عن البعض. (انظر: لسان العرب، لابن منظور(٥٧٣/١١)

(٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب تحريم النميمة (٢٨/٨) (٢٦٠٦) .

(٨٣) التدابر :المعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لانَّ كل واحد يولي صاحبه دبره. والحسد: تمني زوال النعمة، وهو حرام. ومعنى كونوا عباد الله اخوانا :أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة، ومعاشرتهم هي المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك، مع صفاء القلوب، والنصيحة بكل حال. قال بعض العلماء: وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الهواء المضلة الموجبة للتباغض (انظر شرح النووي على مسلم – (١٦ / ١١٦).

(٨٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآدب، باب النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ ، (١٠/٨)ح رقم: (٥٦٣)و (٤٦٤١).

(٨٥) تفسير السعدي (٢٠٢/١).

(٨٦) بيان مشكل الآثار، للطحاوي (٦ / ١٣٧).

(٨٧) قوله (دَبّ إليكم) أي سرى ومشى بخفية (الحسد) أي في الباطن (والبغضاء) أي العداوة في الظاهر، وسميا داء لأنهما داء القلب (وهي) أي البغضاء (الحالقة) لا أقول تحلق الشعر أي تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل ، ولكن تحلق الدين وضرره عظيم في الدنيا والآخرة)انظر (تحفة الأحوذي (٦٩/٦).

(٨٨) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة (٢٤٥/٤) ح(٢٥١٠) وسنده حسن كما في صحيح الترمذي للألباني (٣٠٧/٢) ح(٢٠٣٨).

(٨٩) أخرجه الترمذي في سننه باب إصلاح ذات البين (٤ / ٦٦٣) ح رقم: (٢٥٠٨) وقال الألباني: حديث حسن، ح رقم:(٢٥٠٨).

(٩٠) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب(١٧٨/١٣)، وتنوير الحوالك، للسيوطي (٢١١/٢).

(٩١) فيض القدير، المناوي(١٢٦/٣).

(٩٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ، ح رقم(٤٦٥٢).

(٩٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب إصلاح ذات البين (٤ / ٦٦٣) ح رقم: (٢٥٠٨) وقال الألباني: حديث حسن، ح رقم:(٢٥٠٨).

(٩٤) نظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب (١٧٨/١٣)، وتنوير الحوالك، للسيوطي(٢١١/٢).

(٩٥) فيض القدير، المناوي (١٢٦/٣).

(٩٦) المنتقى شرح الموطأ، الباجي (٢٩١/٤).

(٩٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود (٣ / ٢٩٩)

(٩٨) تفسير الطبري، (٥٧٥/١٣).

(٩٩) الكشاف، الزمخشري (٢/ ٢١٥).

(١٠٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (٣ / ٥٣).

(١٠١) التحرير والتنوير، ابن عاشور(١٢٢/٢٥).

(١٠٢) تفسير السعدي(٢٠٢/١).

(١٠٣) أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الهجران بين المسلمين (٩/٨) ح رقم: (٦٦٩٧)

(١٠٤) مأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام، باب مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ (٧ / ٢٤٢) ح رقم: (٢٤٣٢) وقال الألباني: الحديث(حسن) انظر الارواء ح رقم: (٨٩٦)

(١٠٥) حرمة المسلم على المسلم، ماهر الفحل (٢٢/١)

(١٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب ما جاء في الظلم (١٦/٨)(٢٥٧٧)

(١٠٧) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تعظيم حرمات المسلمين (١٨/٨) (٢٥٨١) (٥٩) .

(١٠٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب فِي الْغِيبَةِ (٦٨٦/٢)ح رقم: (٤٨٨٠) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح . (أنظر صحيح وضعيف سنن أبي داود – (١٠ / ٤٨٨) وصحيح الترغيب والترهيب، ح رقم: (٢٣٤٠)

(١٠٩) الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي) (١٤٢/٨).

(١١٠) الكشاف، للزمخشري(٢٣٣/٤).

(١١١) تفسير أبي السعود (٣٥/٨).

(١١٢) تفسير السعدي (٧٦١/١) .

(١١٣) (لا يغل) : من الغل والإغلال وهو الخيانة في كل شيء ، والمعنى أن هذه الثلاث تستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر

(١١٤) سنن ابن ماجه باب في سماع الحديث وتبليغه (٩ / ٣٠٣) ح رقم: (٣١٧٢) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٣٠٤٧) .

(١١٥) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (٢/ ٩٠) .

(١١٦) المرجع السابق (٢/ ٢٠٧).

(١١٧) شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٣٢٣).

(١١٨)جامع العلوم والحكم،ابن رجب (٨٢/١).

(١١٩) أخرجه أبو داود في سننه، باب أدعية رسول الله ﷺ (٤٧٤/١)ح رقم: (١٥١٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ح رقم: (١٣٣٧) (واغسل حوبتي) بفتح الحاء وتضم ، أي امح ذنبي وأزل خطيئتي وإثمي . (واسلل)، أي أخرج وأنزع (سخيمة صدري) أي غشه وغله وحقده . قيل : السخيمة الضغينة من السخمة وهو السواد، والمعنى أخرج من صدري وانزع عنه ما ينشأ منه ويسكن فيه ويستولى عليه من مساوي الأخلاق.(انظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري (٢٥٣/٨).

(١٢٠) قوله (دَبّ إليكم) أي سرى ومشى بخفية (الحسد) أي في الباطن (والبغضاء) أي العداوة في الظاهر، وسميا داء لأنهما داء القلب ،وهي أي البغضاء الحالقة (لا أقول تحلق الشعر) أي تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل (ولكن تحلق الدين) وضرره عظيم في الدنيا والآخرة. انظر (تحفة الأحوذي (٦٩/٦)).

(١٢١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة يوم لبقيانه (٢٤٥/٤) ح(٢٥١٠)قال الألباني الحديث: سنده حسن (انظر صحيح وضعيف الترمذي للألباني (٣٠٧/٢) ح(٢٠٣٨) والتعليق الرغيب (٣ / ١٢) ، والإرواء ح (٢٣٨)

(١٢٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٥٣/١)ح رقم: (٥٤).

(١٢٣) التمهيد، لابن عبد البر (٦ / ١٢٨).

(١٢٤) صحيح الأدب المفرد،(٢٠٨/١) ح رقم: (٤٦٢).قال الألباني: (الحديث حسن) (انظر حديث رقم : ٣٠٠٤ في صحيح الجامع) .

(١٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، والآدب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ (١٠/٨) (٢٥٦٤).

(١٢٦) السنن الكبرى، البيهقي، كتاب قتال أهل البغي، باب ما على السلطان من منع الناس عن النميمة (٨ / ١٦٦) .

(١٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوحي، باب إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ (١/ ٥٦).

(١٢٨) انظر المغني، ابن قدامة (٤/٤٧٦، والمبسوط، السرخسي (٢٠/١٢٣)، ومغني المحتاج، الخطيب (٢/١٧٧) وكشاف القناع، البهوتي (٣/٣٧٨)، والقوانين الفقهية،:الكلبي، ص ٣٣٧.

(١٢٩) مثال ما أحل حرامًا: الصلح على حل الخمر ونحوه أو على أكثر من الدراهم المدعاة، ومثال ما حرم حلالاً: الصلح على ألا يطأ الزوج الضَّرة وهي امرأته الأخرى، أو يصالح زوجته على ألا يطلقها ونحو ذلك.

(١٣٠) سنن الترمذي باب ما ذكر في الصلح بين الناس(٣/٦٣٤) ح(١٣٥٢) وقال والترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيحه (٢/٤١)ح(١٠٨٩).

(١٣١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٦٣) ح(٢٥٠٩)، وقال: هذا حديث صحيح، وصححه البزار كما في البحر الزخار ح (٢١٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣/٧٠) ح(٢٨١٤).

(١٣٢) المبسوط، السرخسي (٢٠/١٣٩/)، بدائع الصنائع، الكاساني(٦/ ٤٠)، تكملة فتح القدير، شمس الدين قودر (٧/ ٢٤)، تبيين الحقائق، للزيلعي، (٥/٣٠)، بداية المجتهد، لابن رشد، (٢/ ٢٩٠)، الشرح الكبير، للدردير،(٣/ ٣٠٩)، مغني المحتاج، للخطيب،(٢/ ١٧٧)، المهذب، للشيرازي،(١/ ٣٣٣)، المغني، لابن قدامة، (٤/ ٤٨٢)، غاية المنتهى(٢/١١٨)، الكتاب مع اللباب، (٢/١٦٣)، القوانين الفقهية، الكلبي، ص ٢٣٨.

(١٣٣) تفسير المنار، رشيد رضا(٩/٤٨٩)

(١٣٤) أحكام القرآن، لابن العربي (١/١٠٥).

(١٣٥) انظر: تفسير السعدي (٢/١٨٧).

(١٣٦) الأدب المفرد، البخاري (١/١٤٢) ح(٣٩٢)، وتفسير الطبري (١١/٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/١٦٤).

(١٣٧) الكشاف، للزمخشري (٢/١٩٥).

(١٣٨) فتح القدير، الشوكاني (٢/٣٠٠).

(١٣٩) انظر: أحكام القرآن، الكيا هراسي(٤/٣٨٢).

(١٤٠) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٥٧-٣٦٤).

(١٤١) انظر: مفتاح الغيب، للرازي (٢٨ / ١١٠).

(١٤٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/٦٤)، وروح المعاني، للألوسي (٢٦/١٥٢)، وتفسير السمعاني (٥/٢٢١).

(١٤٣) انظر: مفتاح الغيب، للرازي (٢٨ /١١١).

(١٤٤) انظر: عمدة القاري، العيني (١٤/١٨٠).

(١٤٥) تفسير السعدي (١/٤١٨).

(١٤٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/٢١٧).

(١٤٧) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/٣٧).

(١٤٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/٢١٧).

(١٤٩) النجوى هي: الإسرار بالكلام بين اثنين أو جماعة، (انظر تفسير القرطبي (٥/٣٨٢)، وفتح القدير، الشوكاني (١/٦٠٦).

(١٥٠) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٦٧/١).

(١٥١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٣/٣).

(١٥٢) نظم الدرر، للبقاعي (٤٠٠/٥).

(١٥٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٦٣) ح(٢٥٠٩)، وقال: هذا حديث صحيح، وصححه البزار كما في البحر الزخار ح (٢١٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٧٠/٣) ح(٢٨١٤).

(١٥٤) ينظر تحفة الأحوذي، المباركفوري (٦٩/٦).

(١٥٥) اختلف العلماء في وجه تفضيل الإصلاح على الصلاة، والصيام، والصدقة، فقال بعضهم: المراد بذلك صلاة وصيام وصدقة النافلة والتطوع، لا الفرض، وقال آخرون: بل المراد الفرائض، لكن مع توجيه الحديث، قال القاري في مرقاة المفاتيح (٣٤٠/١٤): (المراد أن يكون الإصلاح في فساد يتفرع عليه سفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة، مع إمكان قضائها على فرض تركها، فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد، فإذا كان كذلك فيصبح أن يقال: هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس؛ لكون بعض أفراده أفضل، كالبشر خير من الملك، والرجل خير من المرأة، وانظر: تحفة الأحوذي (٦٨/٦).

(١٥٦) موطأ مالك (٩٠٤/٢)، ح رقم(١٦٠٨).

(١٥٧) تفسير السعدي(٢٠٢/١).

(١٥٨) فيض القدير، المناوي (١٢٦/٣).

(١٥٩) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٦٣/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٠/٢٠) ح (١٠٥٧٩)، وابن المبارك في الزهد (٢٥٦)ح(٧٣٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح(١٤٤٨)، وصحيح الجامع ح(١٠٥٨٢).

(١٦٠) رواه البزار كما في كشف الأستار، للهيثمي (٤٤١/٢) ح(٢٠٦٠)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٣ / ٣٢١)، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٥/٣)ح(٢٨١٨): الحديث: حسن لغيره .

(١٦١) أخرجه الطبري في المعجم الكبير (٨ / ٢٥٧)ح(٧٩٩٩ وقال الألباني في صحيح الترغيب (٧٢/٣)ح(٢٨١٩) الحديث حسن لغيره.

(١٦٢) أخرجه الطبري في المعجم الكبير (٤ / ١٣٨) ح(٣٩٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب(٧٢/٣) ح(٢٨٢٠) الحديث حسن لغيره.

(١٦٣) تفسير القرطبي(٣٨٥/٥).

(١٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل فى الصلاة، باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر ينزل به (٨٣/٢)ح(١٢١٨).

(١٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن باب الإِمَامِ يَأْتِى قَوْمًا فَيُصْلِحُ بَيْنَهُمْ (١٢٦/٢٢)ح رقم: (٦٦٥٣).

(١٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، بَاب قَوْلِ الْإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ ح رقم: (٢٤٩٦).

(١٦٧) يشير الى قول النبي ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البين. . . الحديث.

(١٦٨) إعلام الموقعين، لابن القيم الجوزية (١ / ١٠٩).

(١٦٩) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما ذكر في الصلح بين الناس(٦٣٤/٣) ح(١٣٥٢) وقال والترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيحه (٤١/٢)ح(١٠٨٩).

(١٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ (١٤٠٩/٣)ح(١٧٨٣). أخرجه البخاري في صحيحه مع شرحه فتح الباري (٣٥٧/٥)ح(٢٦٩٨)،

(١٧١) انظر صحيح البخاري ، كتاب العمل فى الصلاة، باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر ينزل به (٨٣/٢)ح (١٢١٨)، وصحيح مسلم ، صلح الحديبية في الحديبية (٣١٦/١)ح(٤٢١).

(١٧٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح (٣٦٦/٥) ح(٢٧١٠)، وصحيح مسلم (١١٩٢/٣) ح(١٥٥٨)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢/ ١٤٥) ح(١٠٠٤).

(١٧٣) شرح الزركشي على الخرقي (١٠٣/٥)، المبدع في شرح المقنع (٤ /٢٧٨)، وحاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع (١٢٩ /٥)

(١٧٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٣ / ١٠٦).

(١٧٥) (تنطف) أَيْ تُمْطِر(انظرحاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢٩٢/٧) وقيلَ: تقْطُر (انظر فتح الباري، لابن حجر (٥٠/٢٠)

(٣) لاحيتُ: الملاحاة، المباغضة والمنازعة.

(١٧٧) هب واستيقظ.

(١٧٨) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٦٦). ح رقم:(١٢٧٢٠) تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٧٩) تفسير القرطبي (٢٩٢/٦).

(١٨٠) أحكام القرآن، الجصاص (٢٧٥/٢).

(١٨١) أخرجه مسلم في صحيحه، البر والصلة والآدب، باب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ (١١/٨)،ح رقم (٦٧٠٩).

(١٨٢) تفسير السعدي (٨٠١/١).

(١٨٣) إعلام الموقعين ،لابن قيم الجوزية (١٠٨/١).

(١٨٤) روح المعاني، للألوسي(١٤٥/٥).

(١٨٥) انظر: بدائع الصنائع، الكاساني (٤٩/٦).

(١٨٦) (التدابر) المعاداة وقيل: المقاطعة، لان كل واحد يولي صاحبه دبره. والحسد تمني زوال النعمة وهو حرام، ومعنى كونوا عباد الله اخوانا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو

ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال قال بعض العلماء وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض (انظر شرح النووي على مسلم – (١٦ / ١١٦).

(١٨٧) أخرجه مسلم في صحيحه، البر والصلة والآدب،باب تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ (١٠/٨) (٦٧٠٤).

(١٨٨) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان باب « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا (٥٨/١)ح رقم: (٢٣٤)

(١٨٩) أحكام القرآن ، للجصاص (٢٨١/٥)،(٢٨٢)، وتفسير القرطبي (٣١٧/١٦)، وفتح القدير، للشوكاني (٥ /٦٣) ،(٦٤).

(١٩٠) أحكام القرآن، لابن العربي (١٤٩/٤).

(١٩١) أخرجه مسلم في صحيحه، في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء(٢٢٣٦/٤) ح رقم: (٢٩١٦).

(١٩٢) روح المعاني، الألوسي (١٥١/٢٦).

(١٩٣) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الزكاه باب التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ(١١٣/٣)ح رقم (٢٥١١) ، واللفظ له (لا يجاوز حناجرهم) يعنى : لا يرتفع إلى الله ، ولا يؤجرون عليه، لعدم خلوص النية بقراءته لله تعالى،(انظرشرح صحيح البخارى، لابن بطال (١٠ /٢٨٣) وقوله (يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَام) أو (يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّين قَالَ الْقَاضِي : مَعْنَاهُ : يَخْرُجُونَ مِنْهُ خُرُوج السَّهْم إِذَا نَفَذَ الصَّيْد مِنْ جِهَة أُخْرَى ، وَلَمْ يَتَعَلَّق بِهِ شَيْء مِنْهُ ، وَ (الرَّمْيَة) هِيَ الصَّيْد الْمَرْمِيّ. (انظر شرح النووي على مسلم (٤ / ١٩).

(١٩٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، والآداب باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (٢٠١١/٤ ح رقم: (٢٦٠٥).

(١٩٥) معالم السنن للخطابي (٢٣٦/٧).

(١٩٦) أخرجه أبو داود في سننه ،ح رقم: (٢٢١٤)وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، (٥ / ٢١٢)ح رقم: (٢٢١٢). وبقية الحديث ((ثنتان في ذات الله تعالى قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة إذ نزل منزلا فأتي الجبار فقيل له إنه نزل هاهنا رجل معه امرأة هي أحسن الناس قال فأرسل إليه فسأله عنها فقال إنها أختي فلما رجع إليها قال إن هذا سألني عنك فأنبأته أنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وإنك أختي في كتاب الله فلا تكذبيني عنده).

(١٩٧) انظر شرح النووي على أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٧/١٦)،(١٥٨)،

(١٩٨) انظر شرح النووي على أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٧/١٦)،(١٥٨)، والتفسير الكبير ، للرازي(٢٢/ ١٦١) وفتح الباري ،لابن حجر اعسقلاني ، (٦/ ١٥٩).

(١٩٩) جاء في مسند أحمد ح رقم (١١٩٦٠) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْبَرَ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالاً وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلاً وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْكَ أَوْ قُلْتُ شَيْئًا، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ)) ورواه النسائي في السنن الكبرى، ح رقم (٨٦٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى، ح رقم

(١٨٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (٣١٩٦) قال الألباني :الحديث صحيح (انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم: (٥٤٥) .

(٢٠٠) انظر فتح الباري ،لابن حجر العسقلاني(٦/ ١٥٩).

(٢٠١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٥/١٢).

(٢٠٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الأَعْمَالِ(٦٢/١) ح رقم:(٢٦٢)

(٢٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه مع شحرحه فتح الباري، باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر ينزل به (٤٢٣/٦)ح رقم (١٢١٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه ح رقم (٦٣٩).

(٢٠٤) شرح النووي ، أخرجه مسلم في صحيحه (١١٤/٥).

(٢٠٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب قصر الصلاة ،باب الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ. (١٥٢/٢)ح رقم (١٦٦٧)

(٢٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب قصر الصلاة،باب الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ. (١٥٢/٢)ح رقم (١٦٦٢)

(٢٠٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣٢/٢١، ٤٣٣).

(٢٠٨) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب قصر الصلاة ،باب الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ. (١٥٢/٢)ح رقم (١٦٧٠).

(٢٠٩) شرح النووي على أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٩/٥).

(٢١٠) انظر : الشرح الكبير مع المغني (٣ /٧٠٠) والمجموع، للنووي (٦ /٢١٧ -٢١٨) والجامع لأحكام القرآن القرطبي (٨ / ١٨٤)و شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٣١٤/٢)

وحاشية الروض المربع،(٣١٧/٣) عبد الرحمن النجدي ومعالم التنزيل، البغوي (٢/ ٣٠٤)، وتفسير السعدي (٣٤١/١). وفقه الزكاة، القرضاوي (٢ /٦٣٠).

(٢١١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة ، باب : من تحل له المسألة، (٩٧/٣) ح رقم: (٢٤٥١)

(٢١٢) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير(٤٤٢/١).

(٢١٣) شعب الإيمان، للبيهقي(٧/ ٤٨٧).

(٢١٤) المرجع السابق، (٣٣٢/٧).

(٢١٥) أدب الدنيا والدين ، للماوردي ص٢١٨.

(٢١٦) انظر: تفسير القرطبي(٨ / ٣٩-٤١).ورواه الطبراني في المعجم الكبير، ح رقم: (٥٤٠٩)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية(١٠٥/٤).

(٢١٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة ، باب : من تحل له المسألة، (٩٧/٣) ح رقم: (٢٤٥١)

(٢١٨) معاني الآثار، الطحاوي (٢/ ١٨)، وانظر تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار، للطحاوي (٦٤٩/٦) ح(٤٨٥٢).

المصادر والمراجع

١.أحكام القرآن ، لابن العربي ، أبو بكر مُحَمَّد بن عبد الله ابن العربي ، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا ، ط: دار الفكر للطباعة ، بيروت، بدون.
٢.أحكام القرآن ، لعماد الدين بن مُحَمَّد الطبري المعروف بالكيا الهراسي-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- (بدون تاريخ).
٣.أحكام القرآن ، للجصاص ، أحمد بن علي الرازي الجصاص ، ط: دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، بدون ، تحقيق مُحَمَّد الصادق قمحاوي .
٤.إحياء علوم الدين ، لأبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي ، صححه واعتنى به مُحَمَّد بن مسعود الآحمدي ، ط : عالم الكتب ، بيروت ، ط١ / ٢٠٠٥م.
٥.أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد حبيب البصري الماوردي ، تحقيق ك مصطفى السَّقا ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون.
٦.الأدب المفرد: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، بتخريجات الألباني، نشر مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٧.إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ،مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش،المكتب المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢،(١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م).
٨.الإشاعة والحرب النفسية، عبدالرحمن مُحَمَّد العيسوي وآخرون، الناشر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية(١٩٩٠ م)
٩.أضواء البيان ، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد بن المختار الشنقيطي ، ط: دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٤١٥هـ.
١٠.إعلام الموقعين عن رب العالمين: لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، طبع دار الجيل، بيروت.
١١.أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، المحقق : يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.
١٢.البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، دار العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى.
١٣.البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي، تحقيق : أحمد عبد الله قرشي رسلان- الناشر د: حسن عباس زكى- القاهرة(١٤١٩ هـ)
١٤.بداية المجتهد، ونهاية المقتصد، الإمام القاضي أبي الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد ابن رشد القرطبي الأندلسي، تحقيق الشيخ على مُحَمَّد معوض. والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العالمية، بيروت. لبنان.
١٥.البداية والنهاية: لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، حققه د/ أحمد أبو ملحم وأخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٦.بدائع الصناع، علاء الدين الكاساني ، ط: دار الكتاب العربي بيروت ط٢ /١٩٨٢م.

١٧.بيان مشكل الآثار، الإمام أبو جعفر الطحاوي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، المكتبة الشاملة
١٨.تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون.
١٩.التاريخ الكبير: للإمام مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
٢٠.تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، تحقيق الناشر : دار الكتب الإسلامي، القاهرة، (١٣١٣هـ)
٢١.التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر الدار التونسية، سنة ١٩٨٤م.
٢٢.تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لمحمد بن عبدالرحمن المباركفوري، إشراف عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر مكتبة ابن تيمية ،القاهرة ،الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٣.تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة الطحاوي، تحقيق خالد محمود الرباط، نشر: دار بلنسية الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
٢٤.الترغيب والترهيب: للإمام الحافظ زكي الدين، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تعليق مصطفى مُحَمَّد عمارة، منشورات دار الحديث – القاهرة، ١٤٠٧هـ.
٢٥.التسهيل لعلوم التنزيل ، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد الغرناطي الكلبي ، ط: دار الكتاب العربي ، ط٤/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٦.التعريفات ،علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١،(١٤٠٥هـ)
٢٧.تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الحكيم: للقاضي أبي السعود مُحَمَّد بن العمادي ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨.تفسير البغوي معالم التنزيل،للإمام أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه : مُحَمَّد عبد الله نمر ، ود . عثمان جمعة ، وسليمان مسلم ، ط : دار طيبة ، الرياض ، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٩.تفسير البيضاوي، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي،دار الفكر – بيروت.
٣٠.تفسير السمعاني ، أبو مظفر بن مُحَمَّد بن عبد الجبار السمعاني ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط: دار الوطن ، الرياض ، ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٣١.تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٢.تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، مُحَمَّد جمال الدين القاسمي ، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، ط : مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ .
٣٣.تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار ، مُحَمَّد رشيد رضا ، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٣٤.تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي،تحقيق مصطفى السيد وزملاؤه، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٣٥.تفسير القرآن العظيم، لعبد بن مُحَمَّد بن إدريس، المعروف بابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، نشر مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.
٣٦.تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله، مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، لم تذكر له طبعة.
٣٧.التفسير الكبير ، فخر الدين بن مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ط١/ ١٤٢١هـ.
٣٨.تكملة فتح القدير، شمس الدين أحمد بن قودر، دار الكتب العلمية–بيروت،ط١(١٩٩٥م).
٣٩.التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،مُحَمَّد عبد الكبير البكري–وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ،(١٣٨٧هـ)
٤٠.تنوير الحوالك، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،ط: المكتبة التجارية ، مصر ، ط / ١٣٨٩ هـ. ١٩٦٩م.
٤١.تهذيب اللغة، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري، تحقيق : مُحَمَّد عوض مرعب، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١، ٢٠٠١م
٤٢.التوقيف على مهمات التعاريف، مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. مُحَمَّد رضوان الداية، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق، ط١، (١٤١٠)
٤٣.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (٢٠٠٠م).
٤٤.جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر ، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، ط: دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ
٤٥.الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى، مُحَمَّد بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
٤٦.جامع العلوم والحكم: تأليف زين الدين، أبي الفرج، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الشهير بابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٤٧.الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط: دار الشعب ، القاهرة ، بدون.
٤٨.حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٤٩.حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، ط١، (١٣٩٧ هـ)
٥٠.حرمة المسلم على المسلم، ماهر ياسين الفحل ، المكتبة الشاملة، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م)
٥١.الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، مُحَمَّد علاء الدين بن علي الحصكفي، دار الفكر، بيروت.
٥٢.الدر المنثور في التفسير المأثور: لجلال الدين، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. نشر دار هجر، الطبعة الأولى(١٤٢٤هـ).

٥٣.الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط: دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق عبد الله هاشم اليماني ، بدون.
٥٤.روح المعاني ، للألوسي ، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ط: دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون.
٥٥.الروض المربع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ط : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ط١٣٩٠هـ.
٥٦.زاد المسير ، عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي ، ط: المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ / ١٤٠٤هـ.
٥٧.الزهد ويليه الرقائق، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت
٥٨.سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها ، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٤٠٥هـ.
٥٩.سنن ابن ماجة ، مُحَمَّد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ط: إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون.
٦٠.سنن أبي داود، للحافظ أبي داود، سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتب العصرية، صيدا – بيروت.
٦١.سنن الترمذي ، مُحَمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون
٦٢.السنن الكبرى: للإمام أبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، طبع دار المعرفة – بيروت، نشر وتوزيع ومكتبة المعارف بالرياض.
٦٣.سنن النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، ط : دار البشائر الإسلامية ، ط/ ١٩٨٦م.
٦٤.شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مُحَمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١١)
٦٥.شرح الزركشي على الخرقي لمحمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق عبدالله الجبرين.
٦٦.الشرح الكبير، سيدي أحمد الدردير أبو البركات، تحقيق مُحَمَّد عليش، الناشر : دار الفكر، بيروت
٦٧.الشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن صالح العثيمين. نشر دار ابن الجوزي. ط الاولى .١٤٢٥هـ .
٦٨.شرح النووي على مسلم: لأبي زكريا، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي.
٦٩.شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد ، المكتبة الشاملة.
٧٠.شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض، ط١ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م
٧١.شرح عمدة الأحكام، عبد الرحمن السحيم، المكتبة الشاملة.
٧٢.شرح معاني، أبي جعفر، أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة الأزدي، المعروف بالطحاوي، الكتب العلمية،ط٢،(١٤٠٧هـ).
٧٣.شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : مُحَمَّد سعيد بسيوني زغلول ،ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠م
٧٤.الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٣،(١٤٠٤هـ).

٧٥.صحيح ابن حبان، أبي حاتم مُحَمَّد بن حبان التميمي، دار الفكر- بيروت- لبنان.
٧٦.صحيح ابن ماجة، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الشاملة.
٧٧.صحيح أبي داود، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت، ط١(١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)
٧٨.صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط١: ١٤٢١هـ
٧٩.صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار القلم ، بيروت ، ط/ ١٩٧٨م.
٨٠.صحيح الترغيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني، طبع دار المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٨١.صحيح سنن الترمذي: لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٨٢.صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨٣.صحيح وضعيف سنن أبي داود، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني ، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.
٨٤.صفة الصفوة، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، تحقيق : أحمد بن علي، دار الحديث ، القاهرة ، مصر(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)
٨٥.عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين، مُحَمَّد بن أحمد العيني، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٨٦.عون المعبود شرح سنن أبي داود،مُحَمَّد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت- ط٣،(١٤١٥هـ)
٨٧.فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وترتيب مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث - القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ).
٨٨.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف مُحَمَّد بن علي الشوكاني ، توزيع دار الاندلس الخضراء بجدة، ودار الوفاء بالمنصورة، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة ط الاولى عام ١٤١٥هـ -١٩٩٤.
٨٩.فيض القدير شرح الجامع الصغير، مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة ،بيروت.
٩٠.القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، سعيدي أبو جيب، ط: دار الفكر ، ط٢/ ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م.
٩١.القوانين الفقهية، ابن جزى الكلبى، المكتبة الشاملة. الإصدار الثالث.
٩٢.الكافي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١(١٤٠٧م)
٩٣.كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.
٩٤.كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي– دارالفكر- بيروت- لبنان(١٩٩٤م).
٩٥.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرازق المهدي ،دار إحياء التراث، بيروت ، ، بدون.
٩٦.كشف الأستارعن زوائد البزار على الكتب الستة لنور الدين الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، مؤسسة الرسالة.

٩٧.لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين، مُحَمَّد بن مكرم الشهير بابن منظور، تصوير دار الفكر عن طبعة دار صادر – بيروت.
٩٨.اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: تأليف مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩٩.المبدع في شرح المقنع، لإبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مفلح، دار عالم الكتب، الرياض، (١٤٢٣هـ /٢٠٠٣ م).
١٠٠.المبسوط، الأصل المعروف بالمبسوط، مُحَمَّد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.
١٠١.المجتبى والمعروفة بسنن النسائي الصغرى: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ودار البشائر بيروت، الطبعة الثانيه ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١٠٢.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
١٠٣.مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ط:مكتبة بن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم العاصمي النجدي ، بدون.
١٠٤.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي أبي مُحَمَّد، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وزملاؤه، طبع دار الخير ط الثانية بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر.
١٠٥.مختار الصحاح ، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة جديدة ، ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥م .
١٠٦.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق : مُحَمَّد حامد الفقي،دار الكتاب العربي – بيروت –ط٢،(١٣٩٣ – ١٩٧٣م)
١٠٧.المذكرات الجلية في التعريفات اللغوية والاصطلاحية، على الهندي.
١٠٨.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان مُحَمَّد القاري ت١٠١٤هـ ، طبع دار الفكر بيروت .
١٠٩.المستدرك على الصحيحين الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري،ط : دار المعرفة، بيروت ، بدون تاريخ .
١١٠.مسند أبي داود الطيالسي لسليمان بن داود بن الجارود، تحقيق مُحَمَّد بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، الطبعة الأولى١٤١٩هـ .
١١١.مسند الإمام أحمد بن حنبل،أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : ٢٤١هـ) المحقق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون، – مؤسسة الرسالة–الأولى ، (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)
١١٢.مجمع البيان افي تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى، دار العلوم للطباعة والنشر – بيروت (٢٠٠٥م)
١١٣.مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي تحقيق مُحَمَّد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي ط الثانية ١٣٩٩هـ، بيروت.

١١٤.المصباح المنير، الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري الفيومي- المكتبة العلمية – بيروت.
١١٥.معالم السنن لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي، تحقيق مُحَمَّد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
١١٦.المعجم الكبير: لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، نشر مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
١١٧.المعجم الوسيط ، إخراج: إبراهيم مصطفى – أحمد الزياد – مُحَمَّد النجار – حامد عبد القادر – دار الدعوة .
١١٨.معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون ، ط:دار الجيل ، بيروت ، ط١/ ١٤١١هـ. ١٩٩١م.
١١٩.مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المهاج، مُحَمَّد الخطيب الشربيني– مطبعة البابي – مصر.
١٢٠.المغني، لأبي مُحَمَّد، عبد الله بن أحمد بن قدامة، نشر مكتبة الجمهورية العربية، ومكتبة الكليات الأزية.
١٢١.مفتاح الغيب، فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١(١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م)
١٢٢.المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق مُحَمَّد سيد كيلاني ، بدون
١٢٣.المنتخب من مسند عبد بن حميد: لمصطفى العدوي، دار بلنسية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
١٢٤.المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، ابو الوليد سليمان بن خلف الباجي ،دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، (١٩٨٤م).
١٢٥.منهاج السنة لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق مُحَمَّد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
١٢٦.المهذب، لأبي إسحاق مُحَمَّد إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ،دار إحياء التراث العربي- لبنان -بيروت-(١٩٩٥م).
١٢٧.مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، مُحَمَّد بن مُحَمَّد المغربي الخطابي، دار الفكر- بيروت-الطبعة الثالثة- (١٩٩٢م).
١٢٨.الموسوعة الفقهية ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ،ط: دار الصفوة الكويت ، ط١/ ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.
١٢٩.موطأ مالك ، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي ، ط: دار إحياء العلوم ، بيروت، ط / ١٩٨٨م.
١٣٠.الميزان في تفسير القرآن . السيد مُحَمَّد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت(١٩٩٧م – ١٤١٧هـ)
١٣١.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)
١٣٢.النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الراوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٣٣.شرح الزركشي على مختصر الخرقي شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، دار الكتب العلمية ،لبنان- بيروت (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م)